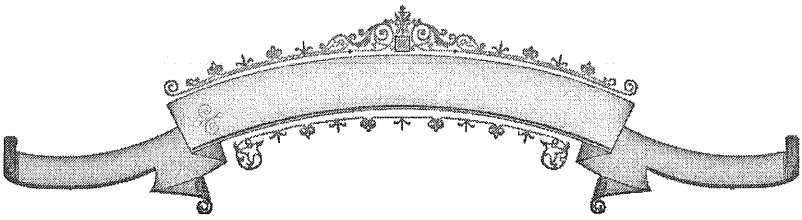

الإحسان مفهومه أنواعه صوره

في ضوء القرآن والسنة

أ. د. حسن محمد علي شباله

أستاذ الحديث والتفسير المشارك

بقسم علوم القرآن والدراسات الإسلامية

جامعة إب

خلاصة البحث

يهدف هذا البحث إلى معرفة مفهوم الإحسان وأنواعه وصوره وثماره من خلال نصوص القرآن الكريم ، والسنة النبوية الصحيحة ، سلكت فيه المنهج الاستقرائي ، وتتبعت لفظ " الإحسان " ومشتقاته في النصوص القرآنية والنبوية ، ثم قمت بتحليلها ومعرفة المراد منها ، وسبرت معانيها من خلال أقوال المفسرين وشرَّاح الحديث ، ثم قسمتها إلى عدة عناوين ، وجمعت تحت كل عنوان ما يتعلق به ، مستخدما في ذلك منهج التفسير الموضوعي ، وقد جمعت بين تفسير القرآن بالقرآن لأنه ما أجمل في موضع ، فإنه قد بسط في موضع آخر ،وتفسر القرآن بالسنة النبوية الصحيحة ، فإن السنة شارحة للقرآن وموضحة ومبينة له ، كما اعتمدت على تفسير الصحابة والتابعين ،كما أني لم أهمل التفسير بصحيح المعقول.

وقد ورد لفظ " الإحسان ومشتقاته "، في القرآن الكريم في (١٥٣) موضعاً وله معانيه المتنوعة بحسب سياق اللفظ وكذلك ورد في السنة عدد لا بأس به من الأحاديث الصحيحة التي تبين مفهوم الإحسان وأنواعه وصوره ، ولم أجد بحثاً علميا مختصاً – فيما أعلم – تتبع نصوص القرآن الكريم والسنة النبوية ، التي ورد فيها هذا اللفظ ، وفسرها تفسيرا موضوعيا ، إلا رسالة لابن تيمية ، رحمه الله ، بعنوان :" الحسنة والسيئة في القرآن الكريم " وهي مطبوعة ، وبناء على ذلك فقد

استبعدت من مكونات البحث لفظ "الحسنة " التي وردت في (٣١) موضعاً من القرآن الكريم .

لذلك فقد عزمت على كتابة هذا البحث ، و حرصت أن يكون بعبارة سهلة مختصرة ، و لم أستدل من السنة إلا بحديث مقبول يحتج به.

وسميته:" الإحسان، مفهومه، أنواعه وصوره، وثماره ، في ضوء القرآن والسنة" وجعلته في: مقدمة، وتمهيد، وثلاثة مباحث، وخاتمة.

ففي التمهيد ذكرت: مفهوم الإحسان في اللغة وأنه يدور حول معنيين : الأول: الإتقان ، والثاني : الإنعام . أما في الاصطلاح ، فالإحسان له ثلاث معان هي فعل الحسنات، أو الإنعام على الناس، أو مراقبة الله تعالى، وبينت أن العلاقة واضحة بين المدلول اللغوي والاصطلاحي لهذه الألفاظ .

وفي المبحث الأول : عرضت فيه أساليب القرآن الكريم والسنة في الدعوة إلى الإحسان من خلال خمسة أساليب هي :

الأسلوب الأول: وصف الله أسمائه بالحسنى وإخباره عن أفعاله أنها حسنة.

والأسلوب الثاني: الأمر بالإحسان والحث عليه.

والأسلوب الثالث: مدح المتصفين به والثناء عليهم ، وذكر جزائهم.

والأسلوب الرابع : جعل وصف الحسن لكل ما مدحه وأثنى عليه.

والأسلوب الخامس: دعاء النبيﷺ ربه بلوغ رتبة الإحسان في الأعمال .

وفي المبحث الثاني: بينت أنواع وصور الإحسان الواردة في نصوص القرآن والسنة وهي أربعة أنواع وهي:

النوع الأول: إحسان الله إلى الخلق، وصوره.

والنوع الثاني: إحسان العبد مع ربه ، وصوره .

والنوع الثالث: إحسان العبد مع الناس ، وصوره .

والنوع الرابع:الإحسان مع باقي الخلق وصوره .

وفي المبحث الثالث: تحدثت عن ثمار الإحسان في الدنيا والآخرة ، من خلال نصوص القرآن والسنة .

وختمت بذكر أهم النتائج والتوصيات التي توصلت إليها أثناء البحث. أسأل الله أن ينفعني به، ويجعله خالصا لوجهه الكريم، وينفع به من قرأه من المسلمين، ويجعله ذخرا لي يوم ألقاه ، آمين .

* * *

المقدمة

الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، من يهدي الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إلـه إلا الله وحـده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم .

أما بعد:

فإن الله أنزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيراً، وجعله برحمته هـدى للناس عموما وللمتقين خصوصاً ، يخرجهم به من ضلال الكفر والمعاصي والجهل إلى نور الإيمان والتقوى والعلم، وأنزله شفاء للصدور من أمـراض الشـبهات والشهوات، وأخبر أنه لا ريب فيه ولا شك بوجه من الوجوه؛ وذلك لاشتماله على الحق العظيم في أخباره وأوامره ونواهيه، وأنزله مباركاً، فيه الخـير الكـثير والعلم الغزير والأسرار البديعة والمطالب الرفيعة، فكل بركة وسعادة تنال في الدنيا والآخرة، فسببها الاهتداء به واتباعه، وأخبر أنه مصدق لما جاء في الكتب السابقة ومهيمن عليها ، فما يشهد له فهو الحق وما رده فهو المردود لأنه تضمنها وزاد عليها.

وقال تعالى فيه: ﴿ يَهْدِي بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ ﴾ المائـدة: ١٦ فهو هادٍ لدار السلام مبين لطريق الوصول إليها، وحاثٌ عليها،وكاشـف عـن الطريق الموصلة إلى دار الآلام، ومحذر منها .

وقال الله تعالى مخبراً عنه : ﴿ الٓرۚ كِتَٰبٌ أُحۡكِمَتۡ ءَايَٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتۡ مِن لَّدُنۡ حَكِيمٍ خَبِيرٍ ﴾ هود: فبين آياته أكمل تبيين، وأتقنها أي إتقان ، وفصلها بتبيين الحق من الباطل والرشد من الضلال تفصيلا كاشفا للبس ؛ لكونه صادراً من حكيم خبير فلا يخبر إلا بالصدق والحق واليقين ولا يأمر إلا بالعدل والإحسان والبر ، ولا ينهى إلا عن المضار الدينية والدنيوية [١].

"فالواجب على العلماء الكشف عن معاني كلام الله وتفسير ذلك وطلبه من مظانه وتعلم ذلك وتعليمه كما قال تعالى : ﴿ وَإِذۡ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ لَتُبَيِّنُنَّهُۥ لِلنَّاسِ وَلَا تَكۡتُمُونَهُۥ فَنَبَذُوهُ وَرَآءَ ظُهُورِهِمۡ وَٱشۡتَرَوۡاْ بِهِۦ ثَمَنٗا قَلِيلٗاۖ فَبِئۡسَ مَا يَشۡتَرُونَ ﴾ آل عمران: ١٨٧...، فإن قال قائل: فما أحسن طرق التفسير؟ فالجواب: إن أصح الطرق في ذلك أن يفسر القرآن بالقرآن، فما أجمل في مكان فإنه قد بسط في موضع آخر، فإن أعياك ذلك فعليك بالسنة فإنها شارحة للقرآن وموضحة له،...،ولهذا قال رسول الله ﷺ : « ألا إني أوتيت القرآن ومثله معه »[٢] ، يعني السنة ، والسنة أيضاً تنزل عليه بالوحي كما ينزل القرآن إلا أنها لا تتلى كما يتلى القرآن . " [٣]

---

(١) من مقدمة تفسير السعدي : ج١/ص٢٩، — بتصرف يسير.

(٢) أخرجه :احمد ١٣٠/٤ برقم ١٧٢١٣وابو داوود ٢٠٠/٤ برقم ٤٦٠٤و الترمذي ٣٨/٥ برقم ٢٦٦٤، . وقال شعيب الأرنؤوط في تخريجه للمسند: إسناده صحيح ، رجاله ثقات.

(٣) أنظر: مقدمة تفسير ابن كثير: ج١/ص ٤ .

سبب اختيار الموضوع وأهميته :

بناءً على ما سبق وكتطبيق عملي لمنهج التفسير الموضوعي ، فقد اخترت مفهوما شرعيا ، وهو:" الإحسان " ليكون مادة هذا البحث ، لسببين :

١- إن هذا المفهوم تكرر كثيراً في القرآن الكريم والسنة النبوية، حيث ورد لفظ:"الإحسان ومشتقاته"،في القرآن الكريم في (١٥٣) موضعاً،وله معانيه المتنوعة بحسب سياق اللفظ،وكذلك ورد في عدد لا بأس به من الأحاديث النبوية.

٢- لم أجد بحثاً علميا مختصاً - بحسب علمي- تتبع نصوص القرآن والسنة، التي ورد فيها هذا اللفظ ، وفسرها تفسيرا موضوعيا .

لذلك فقد عزمت على كتابة هذا البحث ، وسميته : " الإحسان، مفهومه ، أنواعه وصوره ، في ضوء القرآن والسنة "

خطة البحث :

اقتضت طبيعة البحث أن يكون في:مقدمة ،وتمهيد ، وثلاثة مباحث، وخاتمة :

المقدمة : وفيها أهمية الموضوع ، وخطة البحث ومنهجي فيه.

التمهيد في : مفهوم الإحسان في اللغة والاصطلاح .

المبحث الأول: أساليب القرآن والسنة في الدعوة إلى الإحسان.

المبحث الثاني: الإحسان ، أنواع وصور.

المبحث الثالث: ثمرات الإحسان وفوائده

الخاتمة : وفيها ذكر أهم النتائج والتوصيات التي توصلت إليها أثناء البحث .

منهجي في كتابة البحث :

١- استخدمت في كتابة هذا البحث المنهج الاستقرائي للنصوص فقمت بتتبع لفظ : " الإحسان ومشتقاته "، في نصوص القرآن والسنة.

٢- لم أستدل من السنة النبوية إلا بحديث مقبول يحتج به، ولذلك استبعدت من البحث الأحاديث الضعيفة والموضوعة .

٣- ثم استخدمت المنهج التحليلي لمدلولات تلك النصوص؛ فسبرت معانيها من خلال أقوال المفسرين وشرَّاح الحديث .

٤- ثم قسمتها إلى عدة عناوين وجمعت تحت كل عنوان ما يتعلق به، وحرصت أثناء صياغته على أن يكون بعبارة سهلة مختصرة ، بعيداً عن التطويل والتعقيد .

الدراسات السابقة :

لم أقف على بحث بهذه الصورة عن الإحسان ، إلا رسالة ، لابن تيمية ــ رحمه الله، بعنوان :"الحسنة والسيئة في القرآن الكريم "وهي مطبوعة ، وقد تحدث فيها عن مدلول الحسنة والسيئة في القرآن الكريم ، بشيء من التوسع والاستطراد

وقد أحصيت لفظ الحسنة في القرآن فبلغ (٣١) موضعاً من القرآن الكريم ؛ واستبعدتها من مكونات البحث .

أسأل الله أن ينفعني به، ويجعله خالصا لوجهه الكريم، وينفع به المسلمين، إنه سميع مجيب .

التمهيد

مفهوم الإحسان

ورد لفظ " الإحسان " كثيرا في نصوص القرآن والسنة النبوية ، وفي كثير من كلام العرب قديما وحديثا ، ويأتي في سياقات متنوعة ، ولكل سياق مدلوله في المعنى اللغوي والاصطلاحي ، لذلك كان من الضروري قبل الحديث عن الإحسان ، أن نقف في هذا التمهيد ، على معناه في اللغة و الاصطلاح ، ومعرفة العلاقة بينهما.

١ – الإحسان لغة :

الحاء والسين والنون، أصل واحد، فالحسن ضد القبيح[١]، والإحسان ضد الإساءة[٢]، وهو مصدر أحسن يحسن إحساناً، ويتعدى بنفسه، أو بغيره، تقول: أحسنت كذا، إذا أتقنته، وأحسنت إلى فلان ، إذا أوصلت إليه النفع[٣]، والحسن عبارة عن كل مبهج مرغوب فيه... والإحسان يقال على وجهين:

أحدهما: الإنعام على الغير ، يقال أحسن إلى فلان.

الثاني:إحسان في فعله، وذلك إذا علم علماً حسناً[٤]،أو عمل عملاً حسناً[٥].

---

(١) انظر : معجم مقاييس اللغة لابن فارس (٥٧/٢) دار الجليل بيروت، ضبط عبد السلام هارون.

(٢) انظر : لسان العرب لابن منظور (١٧٩/٣)، دار إحياء التراث ، ط/٢ ، ١٤١٣هـ بيروت.

(٣) انظر : فتح الباري لابن حجر (١٦٤/١) تعليق محب الدين الخطيب .ط، الدار السلفية ، القاهرة

(٤) انظر : مفردات ألفاظ القرآن للراغب الأصفهاني: (٢٣٥-٢٣٦) ، دار القلم بيروت ، ط٢ ١٤١٨هـ.

(٥) انظر : بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز للفيروز أبادي (٤٦٥/٢) ط ، المكتبة العلمية ، بيروت.

والحسنة:يعبر بها عن كل ما يُسِّر من نعم تنال الإنسان في نفسه وبدنه وأحواله[١].

وأما الإحسان: فمعناه اللغوي يرشد إلى أنه التفضل بما لم يجب،كصدقة التطوع ومن الإحسان فعل ما يثاب عليه العبد مما لم يوجبه الله عليه في العبادات وغيرها[٢].

مما سبق يتبين لنا: أن الإحسان في اللغة له معنيان : الأول : الإتقان ، والثاني : الإنعام .

٢- الإحسان اصطلاحاً:

يختلف معنى الإحسان اصطلاحاً باختلاف السياق الذي يرد فيه:

فإذا اقترن بالإيمان والإسلام كان المراد به: الإشارة إلى المراقبة وحسن الطاعة، وقد فسره النبي ﷺ بذلك عندما سأله جبريل عليه السلام ما الإحسان؟

فقال ﷺ :«الإحسان أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك »[٣].

يضاف إلى ذلك أن للإحسان معنيان : تقول أحسنت كذا ، إذا أتقنته ، وأحسنت إلى فلان ، إذا أوصلت إليه النفع .

---

(١) انظر :المصدر السابق : (٤٦٤/٢).

(٢) انظر : فتح القدير للشوكاني : ١٨٨/٣ ،دار الخير، بيروت ، ط/ ١، ١٤١٢هـ .

(٣) أخرجه : البخاري (٢٧/١) برقم ٥٠، كتاب الإيمان، ومسلم (٤٧/١) برقم ٩ كتاب الإيمان، وأبو داود (٥٩/٥) برقم ٤٦٩٥.

فالأول هو المراد – في الحديث السابق – لأن المقصود إتقان العبادة ، وقد يلحظ الثاني ، بأن المخلص ـــ مثلاً ـــ محسن بإخلاصه إلى نفسه ، وإحسان العبادة الإخلاص فيها والخشوع وفراغ البال حال التلبس بها ومراقبة المعبود[١].

أما إذا ورد الإحسان مطلقاً، فإن المراد به : فعل ما هو حسن، والحَسَن وصف مشتقٌ من الحُسْن[٢].

والحسن هو: كون الشيء ملائماً للطبع، كالفرح، أو كون الشيء صفة كمال، كالمدح ، أو كون الشيء متعلقاً بالمدح كالعبادات، وهو ما يكون متعلق المدح في العاجل والثواب في الآجل[٣].

مما سبق يتبين لنا: أن الإحسان في الاصطلاح يطلق ويراد به واحد من ثلاث معان : فعل الحسنات ، أو الإنعام على الناس، أو مراقبة الله تعالى[٤].

(١) انظر : تحفة الأحوذي للمباركفوري : ٢٩١/٧، دار الكتب العلمية بيروت ،

(٢) انظر : موسوعة نظرة النعيم ، لمجموعة من الباحثين، (٦٧/٢) دار الوسيلة، جدة، ط١ ١٤١٨هـ.

(٣) انظر : التعريفات للجرجاني: (١١٧-١١٨) تحقيق إبراهيم الأبياري ، دار الريان ،.

(٤) انظر: التعريفات الاعتقادية ، لسعد بن محمد آل عبد اللطيف ، ص ٢٠ دار الوطن ، الرياض ط١ ١٤٢٢هـ.

٣- العلاقة بين المعنى اللغوي والإصلاحي:

سبق معنا أن الإحسان في اللغة، يطلق ويراد به أحد معنيين ، بمعنى : الإتقان ، إن كان: لازماً،وبمعنى:الإنعام إن كان : متعدياً

أما في الاصطلاح فيراد به أحد ثلاث معان : فعل الحسنات، أو الإنعام ، أو المراقبة.

ولا شك أن العلاقة واضحة بين المدلول اللغوي والاصطلاحي لهذه الألفاظ، فالإحسان فعل ما هو حسن، ومنه فعل الحسنات، وإتقان الشيء: فعله على أكمل وجه، سواء كان ذلك الشيء متعلقاً بالله مثل: الإيمان والأعمال الصالحة، أو كان متعلقاً بالخلق مثل الحِرَف، والصناعات ونحوها، والمراقبة تدخل في لفظ الإتقان، فإن من راقب الله أتقن عمله، ومن الإتقان فعل الحسنات كما أمر الله ﷻ ، أما اللفظ الآخر: وهو الإنعام، فواضح العلاقة فيه بين المعنى اللغوي والاصطلاحي بالمطابقة اللفظية ، وإن كان ثم فرق بين الإحسان والإنعام في بعض الوجوه فالإحسان أعم من الإنعام، فالإحسان يكون لنفس الإنسان ولغيره، تقول أحسنت إلى نفسي ــ وإلى غيري ــ والإنعام لا يكون إلا للغير[1].

(١) انظر: لسان العرب ٣/١٨٠.

المبحث الأول: أساليب القرآن والسنة في الدعوة إلى الإحسان

تظهر وقيمة الإحسان في اعتناء القرآن الكريم والسنة النبوية بالحديث عنه ، حيث تنوعت أساليب القرآن الكريم والسنة النبوية في عرضها لهذا الموضوع ، والدعوة إليه ، ومن هذه الأساليب ما يأتي :

- **الأسلوب الأول: وصف الله أسماءه بالحسنى و إخباره عن أفعاله أنها حسنة:**

١- وصف الله ﷻ أسماءه بالحسنى ، في أربعة مواضع، فقال ﷻ: ﴿ وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ﴾ الأعراف: ١٨٠ ، وقال ﷻ: ﴿ فَلَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ﴾ الإسراء: ١١٠ وقال ﷻ: ﴿ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ﴾ طه: ٨ ، وقال ﷻ: ﴿ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ﴾ الحشر: ٢٤ ، قال الزمخشري[١] :"أي التي هي أحسن الأسماء، لأنها تدل على معان حسنة من تمجيد وتقديس وغير ذلك "[٢].

(١) هو: العلامة أبو القاسم ، محمود بن عمر بن محمد بن عمر ، الزمخشري الخوارزمي النحوي اللغوي المتكلم المعتزلي المفسر، يلقب جار الله ، لأنه جاور بمكة زمانا ، ولد في رجب سنة سبع وستين وأربعمائة، له التصانيف البديعة منها : الكشاف في التفسير والفائق في غريب الحديث وأساس البلاغة وغيرها ، مات ليلة عرفة سنة ثمان وثلاثين وخمسمائة. انظر ترجمته في :معجم الأدباء ج٥:ص٤٨٩،

(٢) انظر:الكشاف للزمخشري: ١٦٩/٢، تحقيق عبد الرزاق المهدي ،دار إحياء التراث العربي ، ط/١ ١٤١٧هـ بيروت..

وقال ابن عاشور[١] :"والحسن مؤنث الأحسن ، وهو المتصف بالحسن الكامل في ذاته، المقبول لدى العقول السليمة المجردة عن الهوى، .... ووصف الأسماء بالحسنى، لأنها دالة على ثبوت صفات كمال حقيقي."[٢].

وقال القرطبي[٣] :"سمى الله أسماءه بالحسنى لأنها حسنة إلى الأسماع والقلوب، فإنها تدل على توحيده وكرمه وجوده ورحمته وأفضاله ." [٤].

وقال الشوكاني[٥] :" والحسنى ، تأنيث الأحسن ، أي التي هي أحسن الأسماء لدلالتها على أحسن مسمى وأشرف مدلول " [٦].

---

(١) هو:محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي ، ولد في تونس جمادى الأولى سنة ١٢٩٦هـ، له مؤلفات كثيرة في شتى الفنون منها : تفسيره المسمى بالتحرير والتنوير، ومقاصد الشريعة، وأصول النظام الاجتماعي في الإسلام،وغيرها، توفي يوم الأحد ١٣ رجب ١٣٩٤هـ، في مدينة تونس .انظر ترجمته في : كتاب ، شيخ الإسلام الإمام الأكبر محمد الطاهر بن عاشور، للشيخ محمد الحبيب بن الخوجة ١٦٩/١.

(٢) انظر: التحرير والتنوير لابن عاشور : ١٨٦/٩-١٨٧. دار سحنون ، تونس .

(٣) هو : الشيخ الإمام أبو عبد الله ، محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح ، الأنصاري الأندلسي القرطبي المفسر ، له من التصانيف :كتاب جامع أحكام القرآن ، وله شرح أسماء الله الحسنى ، وكتاب التذكار في أفضل الأذكار، توفي في شوال من سنة إحدى وسبعين وستمائة. انظر ترجمته في : الديباج المذهب ج١:ص٣١٧ ، طبقات المفسرين للداودي ج١:ص٢٤٦.

(٤) انظر : تفسير القرطبي: ٢٠٧/٧، دار الكتب العلمية بيروت ، ط/ ١، ١٤١٧هـ..

(٥) هو : الإمام محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني ، ولد في يوم الاثنين من شهر ذي القعدة سنة ١١٧٣هـ، بِهجْرَة شوكان ، له عدة مصنفات منها : تفسره فتح القدير ، ونيل الاوطار ، وارشاد الفحول وغيرها ، توفي في صنعاء ، عام ١٢٥٠هـ. انظر ترجمته في : البدر الطالع : (٢ / ٢٠٧) ، والأعلام للزركلي:(٦ / ٢٩٨).

(٦) انظر :فتح القدير ٢٠٦/٢

٢- وصف القرآن الذي هو كلامه ، بأنه أحسن الحديث، قال تعالى ﷻ: ﴿ ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ ٱلْحَدِيثِ كِتَٰبًا مُّتَشَٰبِهًا مَّثَانِىَ ﴾ الزمر: ٢٣ ، ومعنى كون القرآن أحسن الحديث أنه أفضل الأخبار، لأنه اشتمل على أفضل ما تشتمل عليه الأخبار من المعاني النافعة والجامعة لأصول الإيمان والتشريع[١]، ويحتمل وصفه بأحسن الحديث أمرين :

الأول: لفصاحته وإعجازه ، والثاني: لأنه أكمل الكتب وأكثرها إحكاماً[٢].

فأحسن الحديث كلام الله، وأحسن الكتب المترلة من كلامه هو القرآن، وإذا كان هو الأحسن، علم أن ألفاظه أفصح الألفاظ وأوضحها، وأن معانيه أجل المعاني، لأنه أحسن الحديث في لفظه ومعناه[٣].

ومما ورد في وصف القرآن ، قوله تعالى: ﴿ وَٱتَّبِعُوٓاْ أَحْسَنَ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُم ﴾ الزمر: ٥٥ ، معناه : اتبعوا أيها الناس ما أمركم به ربكم في تترليه، واجتنبوا ما نهاكم عنه فيه ، وذلك هو أحسن ما أنزل إلينا من ربنا[٤].

---

(١) انظر : التحرير والتنوير لابن عاشور: ٣٨٥/٢٣،

(٢) انظر : النكت والعيون للماوردي : ١٢٢/٢. مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت ، بدون تاريخ .

(٣) انظر : تفسير السعدي :٣١٨/٤ ، دار المدني جدة ، ١٤٠٨ هـ.

(٤) انظر : تفسير الطبري: ٣٣٢/٢٠. بتحقيق د/عبد المحسن التركي ، دار هجر ، القاهرة ، ط/ ١، ١٤٢٢هـ ١٤٢٢هـ

وليس المعنى أن بعض القرآن أحسن من بعض من حيث هو قرآن، وإنما هو أحسن كله بالإضافة إلى أفعال الإنسان وما يلقى من عواقبها [١].

كما وصف بعض ما فيه من قصص ، بأنه أحسن القصص، قال الله ﷻ : ﴿ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ ﴾ يوسف: ٣،أي : أبدعه طريقة وأعجبه أسلوباً وأصدقه أمثالاً وأجمعه حِكَماً وعدلاً [٢].

٣- ثناء الله ﷻ على أفعاله بأنها حسنة، من حيث أنها تتضمن معنى الإتقان ومن ذلك :

قوله تعالى: ﴿ الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنسَانِ مِن طِينٍ ﴾ السجدة: ٧ قال ابن عباس[٣]: أتقن كل شيءٍ وأحكمه ، وروي عن مجاهد[٤] أيضاً نحوه ، قال ابن عباس: أما إن إست القرد ليست حسنة ، ولكنه أحكم خلقها[٥].

---

(١) انظر: المحرر الوجيز ، لابن عطية الأندلسي ٥٣٧/٤. تحقيق عبد السلام عبد الشافي، دار الكتب العلمية بيروت، ط/ ١، ١٤١٣هـ.

(٢) انظر: محاسن التأويل للقاسمي : ١٤٦/٦. ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط١ ١٤١٨هـ.

(٣) هو : عبد الله بن عباس بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم ولد قبل الهجرة بثلاث سنين ، ومات سنة ثمان وستين بالطائف وهو أحد المكثرين من الصحابة وأحد العبادلة من فقهاء الصحابة . انظر ترجمته في : الاستيعاب ج٣:ص٩٣٣ ،

(٤) هو: مجاهد بن جبر بفتح الجيم وسكون الموحدة أبو الحجاج المخزومي مولاهم المكي ثقة إمام في التفسير وفي العلم من الثالثة مات سنة إحدى أو اثنتين أو ثلاث أو أربع ومائة .انظر ترجمته في : الكاشف ج٢:ص٢٤٠ ، وتقريب التهذيب ج١:ص٥٢٠.

(٥) انظر :تفسير الطبري: ١٨/ ٥٩٧، ، و زاد المسير لابن الجوزي : ١٧٩/٦، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط/ ١، ١٤١٤هـ ، والنكت والعيون للماوردي: ٣٥٥/٤ ،

قلت : واختار هذا القول القاسمي [١] [٢].

وقال قتادة [٣]: حسَّن خلق كل شيء، قال الماوردي[٤] : " هو من أقوال ابن عباس ."[٥].

قلت : واختار هذا القول الزمخشري[٦].

وقوله تعالى: ﴿ لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِىٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ﴾ التين: ٤، أي: لقد خلقنا الإنسان في أحسن صورة وأعدلها، وإن قوله (أحسن تقويم)؛ نعت لمحذوف (وهو في تقويم أحسن تقويم)، فكأنه قيل: لقد خلقناه في تقويم أحسن تقويم[٧].

---

(١) هو: جمال الدين (أو محمد جمال الدين) بن محمد سعيد بن قاسم الحلاق، إمام الشام في عصره . ولده سنة : ١٢٨٣هـ ، له عدة مصنفات منها : قواعد التحديث من فنون مصطلح الحديث ، ومحاسن التأويل في تفسير القرآن الكريم .توفي في دمشق سنة :١٣٣٢ هـ ، انظر ترجمته في : الأعلام للزركلي : (٢ / ١٣٥).

(٢) انظر: محاسن التأويل للقاسمي : (٣٩/٨) ،

(٣) هو: قتادة بن دعامة بن قتادة السدوسي أبو الخطاب البصري ، الأعمى الحافظ المفسر ، ثقة ثبت ، مات سنة بضع عشرة ومائة ، انظر ترجمته : الكاشف ج٢:ص١٣٤ ، و تقريب التهذيب ج١:ص٤٥٣ .

(٤) هو: علي بن محمد بن حبيب القاضي أبو الحسن الماوردي البصري ، أحد أئمة المذهب الشافعي ، من تصانيفه:الحاوي، وكتاب الأحكام السلطانية ، النكت والعيون في التفسير ، وغيرها ، توفي في ربيع الأول سنة خمسين وأربعمائة. انظر ترجمته في : طبقات الشافعية ج١:ص٢٣٠طبقات المفسرين ج١:ص٨٣.

(٥) انظر: تفسير الطبري: ٥٩٧/١٨.

(٦) انظر: النكت والعيون: ٣٥٥/٤.

(٧) انظر: تفسير الطبري: ١٥٠/٢٤.

وقال البغوي[١]: أعدل قامة، وأحسن صورة، وذلك أنه خلق كل حيوان منكباً على وجهه إلا الإنسان، خلقه مديد القامة، يتناول مأكوله بيده مزيناً بالعقل والتمييز[٢].

وقوله تعالى: ﴿وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ﴾ غافر: ٦٤ التغابن: ٣ ، أي فخلقكم في أحسن الأشكال ومنحكم أكمل الصور في أحسن تقويم[٣]، أي جعل كل عضو في مكان يليق به ليتم الانتفاع به[٤]، ﴿فأحسن﴾ تفسيريَّة ، فالمراد : صوركم أحسن تصوير حيث خلق كلاً منكم منتصب القامة بادي البشرة، متناسب الأعضاء والتخطيطات، متهيئاً لمزاولة الصنائع واكتساب الكمالات .[٥]

---

(١) هو: الحسين بن مسعود بن محمد العلامة محيي السنة أبو محمد البغوي ،كان إماما في التفسير إماما في الحديث إماما في الفقه ، من تصانيفه :شرح السنة ، ومعالم التنزيل في التفسير ، والمصابيح والجمع بين الصحيحين وغير ها، توفي في شوال سنة ست عشرة وخمسمائة. انظر ترجمته في: طبقات الشافعية ج١:ص٢٨١، وطبقات المفسرين ج١:ص٤٩.

(٢) انظر: معالم التنزيل للبغوي : ٤/ ،٤٧٢، دار الكتب العلمية بيروت ، ط/ ١، ١٤١٤هـ.

(٣) انظر: تفسير الطبري: ٣٥٦/٢٠، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير : ٢٠٧/١٢، تحقيق مجموعة من الباحثين، مكتبة أولاد الشيخ للتراث ، ومؤسسة قرطبة ، ط/ ١، ١٤٢١هـ ، وفتح القدير للشوكاني : ٥٧٠/٤ ، .

(٤) انظر: محاسن التأويل: ٣١٨/٨.

(٥) انظر: روح المعاني للألوسي: ٨٣/٢٤ ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت.

وقوله تعالى: ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكْمًا ﴾ المائدة: ٥٠ ، أي لا أحد أحسن منه حكماً تبارك وتعالى[١] والمعنى : أن حُكم الله هو الغاية في الحُسن وفي العدل ، وهو استفهام معناه التقرير ويتضمن شيئاً من التكبر عليهم .[٢]

وقوله تعالى: ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ صِبْغَةً ﴾ البقرة: ١٣٨ ، وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ صِبْغَةً: هذا استفهام ومعناه النفي، أي : ولا أحد أحسن من الله صبغة،و(أحسن) هنا : لا يراد بها حقيقة التفضيل ، إذ صبغة غير الله منتف عنها الحسن، أو يراد التفضيل باعتبار من يظن أن في صبغة غير الله حسناً ، لا أن ذلك بالنسبة إلى حقيقة الشيء ، وانتصاب " صبغة " هنا على التمييز ، وهو من التمييز المنقول من المبتدأ ، ... ، والتقدير : ومن صبغته أحسن من صبغة الله ، فالتفضيل إنما يجري بين الصبغتين لا بين الصابغين .[٣]

وأما تضمن أفعال الله تعالى: الإحسان بمعنى الإنعام على الخلق، فمنه :

قوله تعالى: ﴿ وَأَحْسِن كَمَآ أَحْسَنَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ ﴾ القصص: ٧٧ ، أي : أحسن بطاعته ، كما أحسن الله إليك بنعمته[٤].

(١) انظر: المحرر الوجيز :٢٠٣/٢

(٢) انظر: البحر المحيط لأبي حيان،٥١٦/٣، دار الكتب العلمية بيروت ، ط/١، ١٤٢٢هـ

(٣) انظر : المصدر السابق :٥٨٤/١،

(٤) انظر: معالم التنزيل : ٣٩١/٣،و فتح القدير ٢١٥/٤،

بل عند التأمل يتبين أن خلق الله الخلق إحسان إليهم[١]، كما إن إلهامهم كل ما يحتاجون إليه ؛ من إحسانه إليهم وتفضله عليهم ، جل وعلا .[٢]

• الأسلوب الثاني: الأمر بالإحسان والحث عليه

أمر الله سبحانه عباده بالإحسان إجمالاً يشمل معانيه كلها من: فعل الحسنات، والإتقان، والإنعام، والمراقبة لله سبحانه، فقال ﷻ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ﴾ النحل: ٩٠ ، قال ابن عطية: الإحسان هو فعل كل مندوب إليه، فمن الأشياء ما هو مندوب إليه، ومنها ما هو فرض إلا أن حد الإجزاء منه ما دخل في العدل، والتكميل الزائد على حد الإجزاء داخل في الإحسان[٣].

وقال الألوسي[٤] : الإحسان : أي إحسان الأعمال، والعبادة، أي الإتيان بها على الوجه اللائق بها، وهو إما بحسب الكيفية كما يشير إليه ما رواه البخاري[٥]،

---

(١) انظر : زاد المسير :١٧٩/٦،و البحر المحيط لأبي حيان :٤٣٣/٨،.

(٢) انظر: النكت والعيون: ٣٥٥/٤.

(٣) انظر: المحرر الوجيز لابن عطية الأندلسي ٤١٦/٣ ،

(٤) هو: محمود بن عبد الله بن الحسين الآلوسي الملقب بشهاب الدين أبو الثناء، المفسر ، وهو من أهل بغداد تقلد الإفتاء ببغداد، فعزل فانقطع للتأليف . سافر خلال حياته للآستانه عاصمة الدولة العثمانية، وبقي هناك قرابة السنتين، وهو صاحب التفسير المشهور المعروف بـــ"روح المعاني"، وغيره من المؤلفات الجليلة . ولد سنة (١٢١٧هـــ ، وتوفي سنة (١٢٧٠ هـــ ، ببغداد . انظر ترجمته في : جلاء العينين في محاكمة الأحمدين - (١ / ٥٨) ،

(٥) هو: الإمام محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة ، أبو عبد الله الجعفي البخاري ، صاحب الجامع الصحيح، ولد في شوال سنة أربع وتسعين ومائة ، وتوفي ليلة السبت، عند صلاة العشاء ليلة الفطر ، ودفن يوم الفطر=

من قوله ﷺ « الإحسان أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك» [(١)]، أو بحسب الكمية، كالتطوع بالنوافل الجابرة ، لما في الواجبات من النقص، وجوز أن يكون المراد بالإحسان : الإحسان المتعدي بإلى لا المتعدي بنفسه، فإنه يقال : أحسنه وأحسن إليه ، أي : الإحسان إلى الناس والتفضل عليهم .[(٢)]

ومن الأمر بالإحسان عموماً قوله تعالى: ﴿ وَأَحْسِن كَمَآ أَحْسَنَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ ﴾ القصص:٧٧، هكذا أمر بالإحسان مطلقاً، قال ابن جرير[(٣)]: وأحسن في الدنيا إنفاق مالك الذي آتاك الله في وجوهه وسبله كما أحسن الله إليك ووسع عليك منه وبسط لك فيه[(٤)]، وقال ابن الجوزي[(٥)] :فيها ثلاثة أقوال هي:

أحدها: أَعْطِ فضل مالك كما زادك على قدر حاجتك.

= بعد صلاة الظهر ، يوم السبت ، غرة شوال سنة ست وخمسين ومائتين ، وعاش اثنتين وستين سنة إلا ثلاثة عشر يوما. انظر ترجمته في : طبقات الحنابلة ج١:ص٢٧١، وسير أعلام النبلاء ج١٢:ص٣٩٢

(١) سبق تخريجه .

(٢) انظر:روح المعاني :١٤/٢١٧-٢١٨.

(٣) هو: الإمام محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب ، أبو جعفر الطبري كان مولده في سنة أربع وعشرين ومائتين ، صنف التاريخ الحافل ، وله التفسير الكامل ، الذي لا يوجد له ، توفي في شوال سنة عشر وثلاثمائة عن ست وثمانين ، انظر ترجمته في : البداية والنهاية ج١١:ص١٤٥ ، و طبقات الشافعية ج١:ص١٠١ .

(٤) انظر :تفسير الطبري ١٨/٣٢٤ ،

(٥) هو:الإمام العلامة الحافظ عالم العراق وواعظ الآفاق ، جمال الدين ، أبو الفرج عبد الرحمن بن أبي الحسن علي بن محمد بن علي ابن الجوزي ، جمع وصنف ووعظ ودرس ، وكان حافظا فاضلا ، وكان لا يتقن مولده ، وتوفي ليلة الجمعة ، ثاني عشر شهر رمضان ، من سنة سبع وتسعين وخمسمائة .انظر ترجمته في : تذكرة الحفاظ ج٤:ص١٣٤٢ ، .

والثاني: أَحْسِن فيما افترض عليك كما أحسن في إنعامه إليك.

والثالث: أحسن في طلب الحلال كما أحسن إليك في الإحلال [١].

قلت :الثاني والثالث حكاها الماوردي [٢]، كما أن جميع المعاني السابقة تندرج تحت معنى الآية ، ولا تعارض بينها ، بل كلها مطلوب ، والأولى حملها على العموم .

ومن الآيات التي أمر فيها بالإحسان قوله تعالى: ﴿ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴾ البقرة: ١٩٥ ، فقوله : ﴿ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴾ البقرة: ١٩٥ ، يشمل جميع أنواع الإحسان لأنه لم يقيده بشيء دون شيء [٣].

وقد جاء الأمر بالإحسان في صور مخصوصة منها قوله: ﴿ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا ﴾ البقرة:٨٣، النساء٣٦، الأنعام١٥١، الإسراء٢٣ ، قوله ﷻ : ﴿ وَقُل لِّعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ﴾ الإسراء: ٥٣ ، وكذلك قوله ﷻ : ﴿ وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ﴾ العنكبوت:٤٦ ، وقوله: ﴿ وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا ﴾ البقرة: ٨٣ .

وأمر برد التحية بأحسن منها فقال ﷻ : ﴿ وَإِذَا حُيِّيتُم بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوهَا ﴾النساء: ٨٦ .

---

(١) انظر: زاد المسير لابن الجوزي: ١١٨/٦.

(٢) انظر: النكت والعيون: (٤ / ٢٦٧)

(٣) انظر :تفسير السعدي ١٥٤/١.

وأمر أن لا يقرب مال اليتيم إلا بالتي هي أحسن ، فقال ﷻ : ﴿ وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ﴾ الأنعام: ١٥٢ ، الإسراء٣٤ أي بالخصلة التي هي أحسن بمال اليتيم، وهي حفظه وتثميره[١].

وفي الحديث:« إن الله كتب الإحسان على كل شيء ، فإذا قَتَلْتُمْ ،فَأَحْسِنُوا الْقِتْلَةَ وإذا ذَبَحْتُمْ فَأَحْسِنُوا الذبحَة ، وَلْيُحِدَّ أحدكم شَفْرَتَهُ وَلْيُرِحْ ذَبِيحَتَهُ »[٢]، أي : أوجب عليكم الإحسان في كل شيء ، فكلمة على بمعنى : في ، ومتعلق الكتابة محذوف والمراد بالإيجاب الندب [٣].

وهذا الأمر عام منه صلى الله عليه وسلم بالإحسان ، أولاً ، ثم مثّل بإحسان القتل والذبح بصورة خاصة .

كما أنه قد أمر صلى الله عليه وسلم بالإحسان في صور خاصة ، منها :

---

(١) انظر :الكشاف للزمخشري: ٢/٧٥.

(٢) أخرجه: مسلم (٣/١٢٣١) رقم (١٩٥٥) كتاب الصيد، وأبو داود (٣/٢٤٤) رقم (٢٨١٥)، كتاب الأضاحي، والترمذي (٤/١٦) رقم (١٤٠٩) كتاب الديات، والنسائي (٣/٦٢) برقم (٤٤٩٤) كتاب الضحايا، وابن ماجه (٣/٣٥٦) رقم (٣١٧٠) كتاب الذبائح .

(٣) انظر: حاشية السندي على سنن النسائي ج٧/٢٢٧، تحقيق ،عبد الفتاح أبو غدة،مكتب المطبوعات الإسلامية،حلب،ط/٢، ١٤٠٦هـ

١- أمره بتحسين الصوت عند قراءة القرآن : قال رسول الله ﷺ يقول: « حسنوا القرآن بأصواتكم، فإن الصوت الحسن يزيد القرآن حسناً »[١]،

٢- أمره بتحسين الكفن للميت ، قال رسول الله ﷺ : « إذا كَفَّنَ أحدكم أَخَاهُ فَلْيُحَسِّنْ كَفَنَهُ »[٢].

٣- أمره بالإحسان إلى الجار ، قال رسول الله ﷺ : « أحسن إلى جارك تكن مؤمنا ».[٣]

وغيرها من الصور التي سنشير إلى بعضها في المبحث الثاني.

---

(١) أخرجه: الدارمي (٢١٩٤/٤) برقم (٣٥٤٤) كتاب الفضائل ، من حديث البراء بن عازب ، قال حسين سليم أسد : إسناده صحيح .

(٢) أخرجه : مسلم ج٦٥١/٢ برقم ٩٤٣ ، من حديث جابر بن عبد الله .

(٣) أخرجه أحمد في المسند:(٢ / ٣١٠) برقم :٨٠٨١ ،والترمذي في السنن:(٤ /٥٥١) ، برقم:٢٣٠٥،والطبراني في المعجم الأوسط :(٧ / ١٢٥) ، برقم :٧٠٥٤ ، والبيهقي في شعب الإيمان : (٧ /٧٨) ، برقم : ٩٥٤٣، من طريق أبي طارق السعدي ، عن الحسن ، عن أبي هريرة ، وفيه علتان :أبو طارق مجهول ، والحسن لم يسمع من أبي هريرة ، لكن حسنه الآلباني ، أنظر : ترتيب أحاديث الجامع الصغير على الأبواب الفقهية - (٤/ ٥٥) ، وقال شعيب الأرنؤوط في تحقيقه لمسند أحمد : حديث جيد ، وهذا إسناد ضعيف ، لجهالة أبي طارق السعدي.قلت وله شاهد ، بلفظ: :"من كان يؤمن بالله واليوم الأخر فليحسن إلى جاره " أخرجه: مسلم (٧٠/١) رقم (٤٧) كتاب الإيمان.

- **الأسلوب الثالث: مدح المتصفين به والثناء عليهم ، وذكر جزائهم.**

الإحسان : من أفضل منازل العبودية لأنه لب الإيمان وروحه وكماله ، وجميع المنازل منطوية فيه [١].

قال تعالى: ﴿ وَأَحْسِنُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾ البقرة: ١٩٥ ، فأثبت الله لهم حبه بسبب إحسانهم، فإن الله يحب المحسنين في عبادة الخالق ومعاملة الخلق[٢]، ومحبة الله للعبد أعظم درجات الثواب[٣].

وقال سبحانه: ﴿ لِّلَّذِينَ أَحْسَنُواْ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ ﴾ يونس: ٢٦ ، أي للذين أحسنوا في عبادة الله في الدنيا من خلقه فأطاعوه فيما أمر ونهى :الحسنى[٤].والحسنى هي الجنة في قول أكثر المفسرين[٥]، والزيادة هي النظر إلى وجه الله الكريم في جنات عدن[٦].

---

(١) انظر: بصائر ذوي التمييز: ٢/ ٤٦٥.

(٢) انظر :تفسير السعدي: ١/٢٧٨.

(٣) انظر: التفسير الكبير للرازي ٨/٩، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط/١٤٢١،١هـ.

(٤) انظر :تفسير الطبري ١٢/١٥٦.

(٥) انظر : تفسير الطبري ٧/٣٧٦، ومعالم التنزيل ١/٣٧٣، والمحرر الوجيز ٢/٩٨، والكشاف ١/٥٨٦، وتفسير القرطبي ٥/١٢١.

(٦) انظر : تفسير الطبري: ١٢/١٥٦.

وقال تعالى: ﴿ وَيَجْزِيَ ٱلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ بِٱلْحُسْنَىٰ ﴾ النجم: ٣١، أي بالمثوبة الحسنى وهي الجنة(١).

وقال تعالى: ﴿ لِلَّذِينَ ٱسْتَجَابُوا۟ لِرَبِّهِمُ ٱلْحُسْنَىٰ ﴾الرعد: ١٨، هي الجنة وكل ما يختص به المؤمنون من نعم الله عز وجل(٢)، وقال ابن الجوزي : والحسنى كل خير من الجنة فما دونها(٣).

وقال تعالى: ﴿ هَلْ جَزَآءُ ٱلْإِحْسَٰنِ إِلَّا ٱلْإِحْسَٰنُ ﴾ الرحمن: ٦٠، أي أن جزاء من أحسن بالطاعة أن يحسن إليه بالنعيم، ويجازيه الجنة(٤).

وقال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا۟ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ ﴾ النحل: ١٢٨، أي وهو مع الذين يحسنون رعاية فرائضهم، والقيام بحقوقه ولزوم طاعته فيما أمرهم به ونهاهم عنه(٥).

وقال ابن عطية (٦): (إن الله مع الذين اتقوا) "يريد المعاصي" (ومحسنون) معناه معناه يتزيدون فيما ندب إليه من فعل الخير(٧).

---

(١) انظر: السراج المنير ، للشربيني: ٧/٢٠٠. دار إحياء التراث ، ط/١، ١٤٢٥هـ بيروت.

(٢) انظر: المحرر الوجيز ٣/٣٠٨.

(٣) انظر: زاد المسير ٤/٢٤٧.

(٤) انظر : النكت والعيون ٥/٤٤٠، و المحرر الوجيز: ٥/٢٣٤.

(٥) انظر: :تفسير الطبري: ١٤/٤٠٩.

(٦) هو: الإمام القاضي أبو محمد عبد الحق بن الفقيه الإمام الحافظ أبي بكر غالب بن عبد الرحمن بن غالب ، المشهور بابن عطية، قاضي غرناطة ، صاحب التفسير الكبير في القرآن ،ولد سنة ثمانين وأربعمائة ، ومات في خامس عشر من رمضان ، سنة إحدى وأربعين وخمسمائة . انظر ترجمته في : طبقات المفسرين ج١:ص٦١.

(٧) انظر: المحرر الوجيز: ٣/٤٣٣

وقال السعدي[١]: والله مع المتقين المحسنين بعونه وتوفيقه وتسديده، وهم الذين اتقوا الكفر والمعاصي، وأحسنوا في عبادة الله بأن عبدوا الله كأنهم يرونه، فإن لم يكونوا يرونه فإنه يراهم، والإحسان إلى الخلق ببذل النفع لهم من كل وجه[٢].

وقال تعالى: ﴿ بَلَىٰ مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُۥٓ أَجْرُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ ﴾ البقرة: ١١٢ ، وقوله: ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ ﴾ النساء: ١٢٥ ، والمحسن: هو المؤمن المطيع لله، المحسن في طاعته إياه[٣].

- **الأسلوب الرابع: جعل وصف الحسن لكل ما مدحه وأثنى عليه ، ومن ذلك:**

١- قوله تعالى في مريم عليها السلام: ﴿ فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنۢبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا ﴾ آل عمران: ٣٧ ،قال ابن كثير[٤]:أي جعلها شكلاً مليحاً، ومنظراً بهيجاً ،

---

(١) هو: الشيخ العلامة أبو عبد الله عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله بن ناصر آل سعدي، ولد في عنيزة في القصيم في الثاني عشر من محرم سنة ألف وثلاثمائة وسبع من الهجرة ، ألّف في التوحيد، والتفسير، والفقه، والحديث، والأصول، والآداب، وغيرها، توفى سنة ١٣٧٦هـ . انظر ترجمته في : علماء نجد للبسام (٢١٨/٣)،

(٢) انظر: تفسير السعدي: ٩٤/٣.

(٣) انظر: معالم التنزيل : ٣٠/٤ .

(٤) هو: الإمام الحافظ عماد الدين ، أبو الفداء ، إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الأموي ، ولد سنة سبعمائة أو أو بعدها بيسير، ومن مصنفاته: التاريخ الكبير والتفسير ، وغيرها ، وكانت وفاته في شهر شعبان ، سنة ٧٧٤هـ بدمشق. انظر ترجمته في : ذيل التقييد ج١:ص٤٧١ وطبقات المفسرين للداودي ج١:ص٢٦٠.

ويسر لها أسباب القبول، وقرنها بالصالحين من عباده تتعلم منهم العلم والخير والدين[١].

وقال أبو حيان[٢]: " وأنبتها نباتاً حسناً ، عبارة عن حسن النشأة والجودة في خلق وخلق ، فأنشأها على الطاعة والعبادة[٣].

٢- ومن ذلك وصف الرزق بالحسن في قوله تعالى : ﴿ وَرَزَقَنِي مِنْهُ رِزْقًا حَسَنًا ﴾ هود: ٨٨، وقوله تعالى: ﴿ تَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَرًا وَرِزْقًا حَسَنًا ﴾النحل: ٦٧ وقوله تعالى: ﴿ وَمَن رَّزَقْنَاهُ مِنَّا رِزْقًا حَسَنًا ﴾ النحل: ٧٥ وقوله تعالى: ﴿ لَيَرْزُقَنَّهُمُ اللَّهُ رِزْقًا حَسَنًا ﴾الحج: ٥٨، والرزق: العطاء، وهو كل ما يتفضّل به من أعيان ومنافع، ووصفه بالحسن لإفادة أنه يُرضيهم بحيث لا يطلبون غيره لأنه لا أحسن منه[٤]. وقيل الرزق الحسن: الحلال الطيب[٥].

٣- ومن ذلك وصف القرض بالحسن، قال تعالى: ﴿ مَن ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ أَضْعَافًا كَثِيرَةً ﴾ البقرة: ٢٤٥ وقوله تعالى: ﴿ وَأَقْرَضْتُمُ اللَّهَ قَرْضًا

---

(١) انظر : تفسير ابن كثير :٥٢/٣.

(٢) هو:الإمام الحافظ العلامة ، محمد بن يوسف بن علي ، أثير الدين أبو حيان الغرناطي ، فريد العصر وشيخ الزمان وإمام النحاة ، ولد سنة أربع وخمسين وستمائة ، من مصنفاته : البحر المحيط في التفسير ، وشرح التسهيل ، غيرها ، توفي في صفر سنة خمس وأربعين وسبعمائة. انظر ترجمته في : الوافي بالوفيات: (١٨٧/٢)، وطبقات الشافعية الكبرى : (٩ / ٢٧٨) .

(٣) انظر: البحر المحيط : ٥٢/٣.

(٤) انظر: التحرير والتنوير ٣١٠/١٧.

(٥) انظر: تفسير الطبري: ٥٤٩/١٢.

حَسَنًا ﴾ المائدة: ١٢ وقوله تعالى: ﴿ مَن ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ وَلَهُ أَجْرٌ كَرِيمٌ ﴾ الحديد: ١١، وقوله تعالى: ﴿ إِنَّ الْمُصَّدِّقِينَ وَالْمُصَّدِّقَاتِ وَأَقْرَضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يُضَاعَفُ لَهُمْ وَلَهُمْ أَجْرٌ كَرِيمٌ ﴾ الحديد: ١٨ ، وقوله تعالى: ﴿ إِن تُقْرِضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يُضَاعِفْهُ لَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ شَكُورٌ حَلِيمٌ ﴾ التغابن: ١٧، وقوله تعالى: ﴿ وَأَقْرِضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا ﴾ المزمل: ٢٠ ، قيل الخالصة لله، وقيل الحلال، وقيل ما يخرج عن طيب نفس، وقيل الذي لا يتبعه مناً ولا أذى[١].

قلت :وكل ما سبق ؛ يشمله معنى القرض الحسن .

٤- ومن ذلك وصف البلاء بالحسن، في قوله تعالى: ﴿ وَلِيُبْلِيَ الْمُؤْمِنِينَ مِنْهُ بَلَاءً حَسَنًا ﴾ الأنفال: ١٧، ويعني به النعم الحسنة الجميلة، وذلك برمي الله المشركين[٢].

٥- ومن ذلك وصف المتاع بالحسن في قوله تعالى: ﴿ يُمَتِّعْكُم مَّتَاعًا حَسَنًا ﴾ هود: ٣ والمتاع الحسن: سعة الرزق، ورغد العيش، والعافية في الدنيا[٣] ، يعني يعيشكم عيشاً حسناً في خفض ودعة وأمن وسعة[٤] .

٦- ومن ذلك وصف الوعد بالحسن في قوله تعالى: ﴿ أَلَمْ يَعِدْكُمْ رَبُّكُمْ وَعْدًا حَسَنًا ﴾ طه: ٨٦ أي صدقاً بإنزال التوراة، وقوله ﷻ: ﴿ أَفَمَن وَعَدْنَاهُ وَعْدًا حَسَنًا ﴾

(١) انظر: زاد المسير: ١/٢٤٠.

(٢) انظر: تفسير الطبري: ١١/٨٧.

(٣) انظر: أضواء البيان للشنقيطي: ٣/٩. دار الفكر ، بيروت ط/ ١٤١٥ هـ

(٤) انظر: معالم التنزيل : ٢/٣١٤ .

القصص: ٦١، أي وعداً بالجنة وما فيها من النعيم الصرف الدائم ، لأن حسن الوعد بحسن الموعود[١]، ولا شيء أحسن منه في موافقته لأمنيته وبقائه[٢].

٧- ومن ذلك وصف الأجر بالحسن في قوله تعالى: ﴿ وَيُبَشِّرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا ﴾ الكهف: ٢، والأجر الحسن هو نعيم الجنة ورضوان الله تعالى[٣].

وأضاف الحسن إلى أشياء أخرى ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ مِنَ ٱلنِّسَآءِ وَٱلْبَنِينَ وَٱلْقَنَٰطِيرِ ٱلْمُقَنطَرَةِ مِنَ ٱلذَّهَبِ وَٱلْفِضَّةِ وَٱلْخَيْلِ ٱلْمُسَوَّمَةِ وَٱلْأَنْعَٰمِ وَٱلْحَرْثِ ۗ ذَٰلِكَ مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسْنُ ٱلْمَـَٔابِ ﴾ آل عمران: ١٤ فقوله تعالى: ﴿ ذَٰلِكَ مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ ﴾ أي إنما هذا زهرة الحياة وزينتها الفانية الزائلة ﴿ وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسْنُ ٱلْمَـَٔابِ ﴾ أي حسن المرجع والثواب[٤].

وقوله تعالى: ﴿ فَٱسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّى لَآ أُضِيعُ عَمَلَ عَٰمِلٍ مِّنكُم مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ ۖ بَعْضُكُم مِّنۢ بَعْضٍ ۖ فَٱلَّذِينَ هَاجَرُوا۟ وَأُخْرِجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِمْ وَأُوذُوا۟ فِى سَبِيلِى وَقَٰتَلُوا۟ وَقُتِلُوا۟ لَأُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ وَلَأُدْخِلَنَّهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ثَوَابًا مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسْنُ ٱلثَّوَابِ ﴾ آل عمران: ١٩٥.

---

(١) انظر: روح المعاني ٩٩/٢.

(٢) انظر: نظم الدرر للبقاعي ٣٠٨/٥، دار الكتب العلمية بيروت، ط/ ١، ١٤١٥ هـ.

(٣) انظر: تفسير الطبري : ١٤٦/١٥، زاد المسير ٧٦/٥، والمحرر الوجيز ٤٩٥/٣.

(٤) انظر: تفسير ابن كثير ج١/ص٣٥

فقوله ﴿ ثَوَابًا مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ ﴾ أضافه إليه ونسبه إليه ليدل على أنه عظيم؛ لأن العظيم الكريم لا يعطى إلا جزيلاً، وقوله تعالى: ﴿ وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسْنُ ٱلثَّوَابِ ﴾ أي عنده حسن الجزاء لمن عمل صالحاً [١].

- **الأسلوب الخامس: دعاء النبيﷺ ربه بلوغ رتبة الإحسان في الأعمال.**

ومن ذلك ، ما ثبت عنه، ﷺ،أنه كان يقول:« اللهم أحسنت خَلْقي فأحسن خُلُقي»[٢]،

وقوله ﷺ: « اللهم اهدني لأحسن الأخلاق ، لا يهدي لأحسنها إلا أنت واصْرِفْ عَنِّي سَيِّئَهَا لَا يَصْرِفُ عَنِّي سَيِّئَهَا إلا أنت »[٣].

وأمرُه ﷺ : لمعاذ [٤]، رضي الله عنه أن يقول دبر كل صلاة « اللهم أعني على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك»[٥].

---

(١) انظر: تفسير ابن كثير:١/٤٤٣.

(٢) أخرجه : أحمد(٣٧٦) برقم (٣٨٢٣) وإسناده حسن، وأخرجه أيضاً من حديث عائشة (٤٠/٤٥٧) برقم (٢٤٣٩٢) بسند صحيح .كما ذكر ذلك شعيب الأرنؤط ، في تحقيقه للمسند .

(٣) أخرجه : مسلم ج١/ص٥٣٥ برقم ٧٧١ من حديث علي.

(٤) هو:معاذ بن جبل بن عمرو بن أوس الأنصاري ، أحد السبعين الذين شهدوا العقبة من الأنصار وشهد بدرا وأحدا والمشاهد كلها،وتوفي سنة تسع عشرة ، انظر ترجمته في : الاستيعاب في معرفة الأصحاب :(١/٤٤٠)، وأسد الغابة : (١ / ١٠٢٠).

(٥) أخرجه : أبو داود: برقم (١٥٢٢) في الصلاة ، والنسائي برقم (١٣٠٤) في السهو ، وابن حبان في صحيحه برقم (٢٠٢٠).

المبحث الثاني: أنواع الإحسان ، وصور كل منها

إن المتتبع لمدلولات نصوص القرآن والسنة النبوية التي تحدثت عن الإحسان ، يتضح له بجلاء أنواعاً متعددة من الإحسان ، وبعض هذه الأنواع يتضمن عدة صور، مما يدلل على شمولية هذا المفهوم وعمقه ، ونقف في هذا المبحث على شيء من تلك الأنواع والصور فمنها :

- **النوع الأول: إحسان الله إلى الخلق ، وصوره.**

يتمثل إحسان الله إلى الخلق في كل ما ينال الخلق من الله سبحانه من خير وعطاء وإيجاد، بل خلق الله لخلقه ، هو نوع من إحسان الله إليهم ، ومن صور إحسانه سبحانه إلى خلقه ما يلي :

١- خلقهم بالصورة اللائقة بهم، قال تعالى: ﴿ ٱلَّذِىٓ أَحۡسَنَ كُلَّ شَىۡءٍ خَلَقَهُۥ ﴾ السجدة:٧ ، وفي معنى الآية أقوال:

أ- أتقن كل شي وأحكمه، وهو مروي عن ابن عباس ومجاهد.

ب- حسَّن خلق كل شيء ، وهو قول قتادة.

ج- ألهم خلقه كل ما يحتاجون إليه ،كأنه أعلمهم كل ذلك وأحسنهم.

د- أحسن إلى كل شيء خلقه ، فكان خلقه له إحساناً.

ه- أعطى كل شيء خلقه ما يحتاج إليه ثم هداه إليه.

و- أحسنه لم يتعلمه من أحد .[1]

(١) انظر: تفسير الطبري :١٨/٥٩٧، النكت والعيون: ٤/ ٣٥٥، زاد المسير ، ٦/١٧٩.

قلت: وجميع الأقوال الخمسة الأولى داخلة في معنى إحسان الله إلى خلقه، وكلها مراده، ولا تعارض بينها، فإن الله سبحانه فعل ذلك كله بالخلق، والقول السادس يدخل في معنى القول الأول، وهو الإتقان والإحكام، فكل أفعال الله سبحانه حسنة، منه ابتداء لم يتعلمها من أحد، ومنه قوله تعالى: ﴿فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَٰلِقِينَ﴾ المؤمنون: ١٤ ، وقوله ﷻ : ﴿وَتَذَرُونَ أَحْسَنَ ٱلْخَٰلِقِينَ﴾ الصافات: ١٢٥ ومعناه: أحسن الصانعين، لأن الناس يصنعون ولا يخلقون[١]، ولأن العرب تسمي كل صانع خالقاً[٢]، من حيث قيل للإنسان على التجوز أنه يخلق، وجب أن يكون تعالى أحسن الخالقين، إذ خلقه اختراع وإيجاد من عدم، وخلق الإنسان مجاز[٣].

فإن قيل: كيف الجمع بين قوله: ﴿أَحْسَنُ ٱلْخَٰلِقِينَ﴾ المؤمنون: ١٤ ، وبين قوله ﷻ : ﴿هَلْ مِنْ خَٰلِقٍ غَيْرُ ٱللَّهِ﴾ فاطر: ٣ ؟ فالجواب: أن الخلق يكون بمعنى الإيجاد، ولا يوجد سوى الله، وبمعنى التقدير، والمراد أن بني آدم قد يصورون ويقدرون ويصنعون الشيء، فالله خير المصورين والمقدرين[٤].

٢- الإحسان إليهم بنعمه في الدنيا التي لا تعد ولا تحصى، ومنه قوله تعالى: ﴿وَأَحْسِن كَمَآ أَحْسَنَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ﴾ القصص: ٧٧ ، وقوله : ﴿وَقَدْ أَحْسَنَ بِىٓ﴾ يوسف: ١٠٠ ،

(١) انظر: التحرير والتنوير: ٢٣/١٦٧.
(٢) انظر: تفسير الطبري: ١٧/٢٥.
(٣) انظر: المحرر الوجيز: ٤/٤٨٤.
(٤) انظر: زاد المسير: ٥/٣٣٧.

وقوله : ﴿ إِنَّهُۥ رَبِّيٓ أَحۡسَنَ مَثۡوَايَ ﴾يوسف: ٢٣ ، على قول بعض المفسرين إن الضمير عائد إلى الله كما سيأتي ، في النوع الثالث .

٣- الإحسان إليهم بتوفيقهم للعمل الصالح، وإعطائهم الأجر والثواب ومضاعفته لهم عليه، قال تعالى: ﴿ لِلَّذِينَ أَحۡسَنُواْ فِي هَٰذِهِ ٱلدُّنۡيَا حَسَنَةٞ ﴾النحل: ٣٠ ، الزمر:١٠، وقال تعالى: ﴿ ثَوَابٗا مِّنۡ عِندِ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسۡنُ ٱلثَّوَابِ ﴾ آل عمران: ١٩٥ ، وقال ﷻ: ﴿ وَيُبَشِّرَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعۡمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمۡ أَجۡرًا حَسَنًا ﴾ الكهف: ٢وقال تعالى: ﴿ مَن جَآءَ بِٱلۡحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشۡرُ أَمۡثَالِهَا ﴾الأنعام: ١٦٠، وقال تعالى: ﴿ مَن جَآءَ بِٱلۡحَسَنَةِ فَلَهُۥ خَيۡرٞ مِّنۡهَا ﴾ النمل: ٨٩ ،القصص:٨٤، وهذا التضعيف والفضل إحسان من الله للعبد، فمن جاء بالحسنة فله خير منها، وهو الأجر المضاعف إلى عشرة أضعاف، بمعنى أن الله تعالى تفضل على العبد فوق ما تستحقه حسنته ، فالحسنة والأجر الحسن في الآخرة، وفي الدنيا: الصحة والعافية والغنيمة.(١)

٤- الإحسان إليهم بإدخالهم الجنة بفضله و رحمته، لا بسبب أعمالهم، قال رسول الله ﷺ :«واعلموا أنه لن يدخل أحدكم الجنة عمله، قالوا: ولا أنت يا رسول الله؟ قال: إلا أن يتغمدني الله برحمته »(٢).

---

(١) انظر :المحرر الوجيز:٤/٢٧٣.

(٢) أخرجه :البخاري (٥/٢١٤٧) برقم (٥٣٤٩) كتاب المرض، والنسائي في الكبرى:(١/٥٩٩) برقم (١٩٤٤) كتاب الجنائز.

فوعدهم سبحانه حسن المرجع والمنقلب، فقال سبحانه: ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ طُوبَىٰ لَهُمْ وَحُسْنُ مَـَٔابٍ ﴾ الرعد: ٢٩ ، أي حسن المنقلب وهي الجنة[١].

وقوله: ﴿ فَـَٔاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ ثَوَابَ ٱلدُّنْيَا وَحُسْنَ ثَوَابِ ٱلْـَٔاخِرَةِ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾ آل عمران: ١٤٨، يعني وخير جزاء الآخرة، على ما أسلفوا في الدنيا من أعمالهم الصالحة، وذلك الجنة ونعيمها[٢].

ووعد الله ﷻ الشهداء بالرزق الحسن وهو رزق الجنة، فقال: ﴿ وَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ثُمَّ قُتِلُوٓاْ أَوْ مَاتُواْ لَيَرْزُقَنَّهُمُ ٱللَّهُ رِزْقًا حَسَنًا ﴾ الحج: ٥٨، والرزق الحسن هو الذي لا ينقطع أبداً، وذلك رزق الجنة[٣].

ووعدهم الوعد الحسن فقال تعالى: ﴿ أَفَمَن وَعَدْنَٰهُ وَعْدًا حَسَنًا فَهُوَ لَٰقِيهِ ﴾ القصص: ٦١ أي الجنة، وما فيها من النعيم المقيم، ولذلك سماها بالحسنى[٤].

وقال تعالى: ﴿ لِلَّذِينَ ٱسْتَجَابُواْ لِرَبِّهِمُ ٱلْحُسْنَىٰ ﴾ الرعد: ١٨، وقوله: ﴿ فَلَهُۥ جَزَآءً ٱلْحُسْنَىٰ ﴾ الكهف: ٨٨، وقال ﷻ: ﴿ لِّلَّذِينَ أَحْسَنُواْ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ ﴾ يونس: ٢٦ ، فالحسنى : الجنة ،

---

(١) انظر :تفسير الطبري ٥/٢٦٧، وابن كثير: ٣/٣١، و روح المعاني : ٣/١٠٠.

(٢) انظر :تفسير الطبري ٦/١٢٣.

(٣) انظر :معالم التنزيل: ٣/٢٤٨، وروح المعاني: ٣/٤٥١.

(٤) انظر :معالم التنزيل: ٣/٣٨٨، والكشاف: ٣/٤٢٩.

والزيادة : النظر إلى وجه الله[١]، وقوله ﷻ: ﴿ وَيَجْزِيَ ٱلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ بِٱلْحُسْنَىٰ ﴾ النجم: ٣١ وقوله : ﴿ وَكُلًّا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْحُسْنَىٰ ﴾الحديد: ١٠، والحسنى في هذه الآيات هي الجنة .

● النوع الثاني: إحسان العبد مع ربه ، وصوره.

إحسان العبد مع الله ، هو مراقبته جلا وعلا، وهو أعظم منازل الدين، فإن الإحسان لا يكون إلا بالإخلاص لله سبحانه في العمل، وأن يكون العمل صواباً، موافقاً للشريعة، فلا يغني إسلام القلب وحده ، ولا العمل بدون إخلاص ، بل لا نجاة إلا بهما ورحمة الله فوق ذلك[٢].

قال تعالى: ﴿ فَمَن كَانَ يَرْجُوا۟ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا ﴾ الكهف: ١١٠، وقال ﷻ: ﴿ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ﴾هود: ٧، ولم يقل أكثر عملاً، بل أحسن عملاً، ولا يكون العمل حسناً حتى يكون خالصاً لله ﷻ على شريعة رسول الله ﷺ، فمتى فقد العمل واحدا من هذين الشرطين بطل وحبط[٣].

وقال تعالى: ﴿ إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى ٱلْأَرْضِ زِينَةً لَّهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ﴾ الكهف: ٧، فقوله: (أيهم أحسن عملاً)، فيها أقوال :

الأول: أيهم أحسن إعراضاً عنها، وتركاً لها.

الثاني: أيهم أحسن توكلاً علينا فينا.

---

(١) انظر :النكت والعيون: ٤٣٢/٢، و زاد المسير: ٨١/٤.

(٢) انظر : تفسير ابن كثير : ٢١/٢، التحرير والتنوير: ٦٧٥/١، محاسن التأويل: ٣٧٦/١.

(٣) انظر: تفسير ابن كثير: ٤١٨/٧، وانظر تفسير السعدي: ٣٥٤/٢.

الثالث: أيهم أصفى قلباً وأهدى سمعاً.

الرابع: أيهم أكثر اعتباراً بها.[١]

قلتُ: وكل ما سبق يشمله معنى الآية ولا تعارض بينها، وهو ما اختاره ابن جرير فقال : " لنختبر عبادنا أيهم أترك لها وأتبع لأمرنا ونهينا، وأعمل فيها بطاعتنا "[٢]، والله أعلم..

وعلى هذا فإن إحسان العبد مع ربه هو عبادته سبحانه، وإخلاص التوحيد له فإن فعل ذلك فقد أتى بالإحسان الذي يجازيه الله عليه بالإحسان في الآخرة، قال تعالى: ﴿ هَلْ جَزَآءُ ٱلْإِحْسَٰنِ إِلَّا ٱلْإِحْسَٰنُ ﴾ الرحمن: ٦٠، وإحسان العبد مع الله هو : فعل ما استحسنه الله منه، فإن الفسق ربما يكون في نظر العبد حسناً، وليس بحسن، كما قال تعالى : ﴿ أَفَمَن زُيِّنَ لَهُۥ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ فَرَءَاهُ حَسَنًا ﴾ فاطر: ٨. بل الحسن ما طلبه الله منه[٣].

ويدخل في معنى إحسان العبد مع الله تنفيذ أمره فيما يتعلق بشؤون الخلق ، فإحسان العبد إلى الخلق ، صورة من صور إحسان العبد مع الله ، وهو مندرج تحت معنى الإحسان المتعدي، كما أن الأول يندرج تحت معنى الإحسان اللازم،

(١) انظر : النكت والعيون: ٣/٢٨٥.

(٢) انظر: تفسير الطبري : ١٥/١٥١.

(٣) انظر :التفسير الكبير للرازي: ٢٩/١١٥.

أي بمعنى الإتقان والمراقبة، أو بمعنى الإنعام إلى الغير، وكلاهما حاصل من العبد ويطلق عليهما إحسان العبد مع الله تعالى.

وكذلك إحسان الظن بالله من الإحسان مع الله، قالﷺ :« لا يموتن أحدكم إلا وهو يحسن الظن بالله »[١].

ومعنى حسن الظن بالله : أن يظن أنه يرحمه، ويعفو عنه، وفي حالة الصحة يكون خائفاً راجياً، ويكونان بدرجة واحدة . وقيل : يكون الخوف أرجح، فإذا دنت أمارات الموت عليه غلَّب الرجاء أو محَّصة ، لأن مقصود الخوف الانكفاف عن المعاصي والقبائح، والحرص على الإكثار من الطاعات والأعمال، وقد تعذر ذلك أو معظمه في هذا الحال، فاستحب إحسان الظن بالله المتضمن للافتقار إلى الله تعالى والإذعان له[٢].

كما يدخل في معنى إحسان العبد مع الله، أن يحسن إسلامه، جاء في الحديث:« إذا أحسن أحدكم إسلامه، فكل حسنة يعملها تكتب له بعشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف »[٣].

---

(١) أخرجه:مسلم (١٧٤٧/٤) رقم(٢٨٧٧) كتاب الجنة وأبو داود :(٤٨٤/٣) رقم (٤١٦٧) كتاب الزهد، من حديث جابر ﷺ .

(٢) انظر : شرح صحيح مسلم للنووي : (٣٢٩/١٧).

(٣) أخرجه :البخاري (٢٤/١) رقم ٤٢، كتاب الإيمان، ومسلم (١١٠/١)، رقم ١٢٩ كتاب الإيمان.

• النوع الثالث: إحسان العبد مع الناس ، وصوره.

يتمثل إحسان العبد مع الناس في عدة صور منها:

١- إحسان العبد إلى نفسه، كما قال تعالى: ﴿ إِنْ أَحْسَنتُمْ أَحْسَنتُمْ لِأَنفُسِكُمْ ﴾ الإسراء: ٧ ، لأن الإنسان إنما ينفع نفسه بالعمل الصالح، كما جاء في الحديث القدسي:« يا عبادي إنما هي أعمالكم أحصيها لكم، فمن وجد خيراً فليحمد الله، ومن وجد غير ذلك فلا يلومن إلا نفسه »[١].

فيكون العبد محسناً إلى نفسه بامتثاله الأمر واجتنابه لنهي، فينقذ نفسه من النار فيكون محسناً إليها، قال ﷺ : «كل الناس يغدوا فبائع نفسه فمعتقها أو موبقها»[٢].

ويتناول إحسان العبد إلى نفسه أيضا أن يحسِّن خلقه مع الناس ، فقد وصى النبي ﷺ معاذا لما أرسله إلى اليمن ، حيث يقول معاذ رضي الله عنه : آخر ما وصاني به رسول الله ﷺ حين وضعت رجلي في الغرز أن قال :« أحسن خلقك للناس يا معاذ بن جبل »[٣].

---

(١) أخرجه :مسلم (١٩٩٤/٣) برقم ٢٥٧٧ كتاب البر والصلة.

(٢) أخرجه :مسلم (٢٠٣/١) برقم: ٢٢٣ كتاب الطهارة

(٣) أخرجه :مالك في الموطأ (٩٠٢/٢) كتاب حسن الخلق

بل مدح رسول الله ﷺ، من حسن خلقه، وجعله من أقرب الناس وأحبهم إليه فقال ﷺ: « إن أحبكم إليَّ وأقربكم مني في الآخرة أحاسنكم أخلاقاً، وإن أبغضكم إلي وأبعدكم مني في الآخرة مساويكم أخلاقاً »[١].

٢- إحسان العبد إلى والديه، وهذا من أعظم الأعمال والحقوق التي قرنها الله ﷻ بحقه، قال تعالى: ﴿ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ﴾الإسراء: ٢٣، وقوله تعالى: ﴿ وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حُسْنًا ﴾العنكبوت: ٨، وقوله ﷻ: ﴿ وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ إِحْسَٰنًا ﴾الأحقاف: ١٥، فأمر الله تعالى عباده بالإحسان إلى الوالدين، بعد الحث على التمسك بتوحيده، فإن الوالدين هما سبب وجود الإنسان، ولهما عليه غاية الإحسان، فالوالد بالإنفاق، والوالدة بالإشفاق[٢].

وقوله تعالى: ﴿ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَانًا ﴾ البقرة: ٨٣، أي وأوصاهم بالوالدين إحساناً، وقرن الله ﷻ في هذه الآية حق الوالدين بالتوحيد، لأن النشأة الأولى من عند الله، والنشء الثاني وهو التربية من جهة الوالدين، ولهذا قرن تعالى الشكر لهما بشكره فقال: ﴿ أَنِ ٱشْكُرْ لِى وَلِوَٰلِدَيْكَ إِلَىَّ ٱلْمَصِيرُ ﴾لقمان: ١٤، والإحسان إلى الوالدين: معاشرتهما بالمعروف والتواضع لهما وامتثال أمرهما والدعاء لهما بالمغفرة بعد مماتهما، وصلة أهل ودهما[٣].

---

(١) أخرجه :أحمد ٢٦٧/٢٩ برقم ١٧٧٣٢ قال المحقق : وهو حسن لغيره

(٢) انظر :تفسير ابن كثير: ٤٩٥/١٠.

(٣) انظر :تفسير القرطبي: ١٢/٢.

والإحسان إليهما كذلك : أن لا يؤذيهما البتة ، ويوصل إليهما من المنافع قدر ما يحتاجان إليه ، فيدخل فيه دعوتهما إلى الإيمان إن كانا كافرين، وأمرهما بالمعروف على سبيل الرفق إن كانا فاسقين[١].

وقد جاءت الوصية بالوالدين في ألفاظ القرآن على نوعين: الأول: بلفظ الإحسان، والثاني: بلفظ حسناً.

فإحسان مصدر: أحسن يحسن إحساناً، ومعناه: وصينا الإنسان أن يحسن إلى والديه إحساناً ، (وحسناً)، معناه: وصيناه بإيتاء والديه حسناً، أو بإيلاء والديه حسناً؛ أي: فعلا ذا حسن، أو ما هو في ذاته حسن لفرط حسنه[٢].

على أنه قد قرأ بعض القراء : ﴿ إِحْسَاناً ﴾ بدل ﴿ حُسْناً ﴾،[٣] فعلى هذه القراءة ، يكون اللفظ واحدا في جميع وصايا القرآن بالإحسان إلى الوالدين.

ومن الإحسان إلى الوالدين حسن الصحبة لهما، جاء في الحديث « من أحق الناس بحسن صحابتي؟ قال: أمك، قال: ثم من؟ قال: أمك، قال: ثم من؟ قال: أمك، قال: ثم من؟ قال:ثم أبوك »[٤].

---

(١) انظر :التفسير الكبير للرازي: ١٥١/٣.

(٢) انظر :الكشاف للزمخشري: ٤٤٦/٣.

(٣) انظر : وزاد المسير : ١٢٧/٦،و البحر المحيط: ٣٤٣/٨

(٤) أخرجه :البخاري (٢٢٢٧/٥) برقم (٥٦٢٦) كتاب الأدب، ومسلم (١٥٦٧/٤) برقم (٢٥٤٨) كتاب البر والصلة.

والحُسْن هو العام الجامع معاني الحَسَن، والحَسَن هو البعض من معاني الحُسْن، ولذلك وصى الله به الولد مع والديه أي: جميع معاني الحسن، وأمره في سائر الناس ببعض الذي أمر به والديه[١].

٣- الإحسان إلى النساء ويشمل:

أ- الإحسان إلى الأم: كونها أعطيت مزية في البر والإحسان على الأب، فقد تكررت الوصية بها ثلاثاً كما سبق.

ب- الإحسان إلى الزوجة: أمر الله سبحانه بأن يحسن الرجل صحبة زوجته،وأوصى النبي ﷺ بالنساء خيراً في حجة الوداع وفيها:« ألا وإن لكم على نسائكم حقاً، ولنسائكم عليكم حقاً، فأما حقكم على نسائكم فلا يوطئن فرشكم من تكرهون ولا يأذنَّ في بيوتكم لمن تكرهون، ألا وحقهنَّ عليكم أن تحسنوا إليهن في كسوتهنَّ وطعامهنَّ»[٢]، هذا الإحسان إليها حال طاعتها

وكذلك أمر الله سبحانه الأزواج بالإحسان إلى الزوجات وإن نشزت الزوجة، قال تعالى: ﴿ وَإِنِ ٱمْرَأَةٌ خَافَتْ مِنۢ بَعْلِهَا نُشُوزًا أَوْ إِعْرَاضًا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَآ أَن يُصْلِحَا بَيْنَهُمَا صُلْحًا وَٱلصُّلْحُ خَيْرٌ وَأُحْضِرَتِ ٱلْأَنفُسُ ٱلشُّحَّ وَإِن تُحْسِنُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴾ النساء: ١٢٨ .

---

(١) انظر: تفسير الطبري: (١٩٥/٢).

(٢) أخرجه: الترمذي (٤٦٧/٣) برقم (١١٦٣) كتاب الرضاع، وقال: حديث حسن صحيح، وابن ماجه (٥٩١/٢) برقم (١٨٥١) كتاب النكاح.

قال ابن جرير: أي وأن تحسنوا أيها الرجال في أفعالكم إلى نسائكم إذا كرهتم منهن دمامة أو خلقاً، أو بعض ما تكرهون منهن،بالصبر عليهن، وإيفائهن حقوقهن وعشرتهن بالمعروف[١].

وقال الزمخشري: وأن تحسنوا بالإقامة على نسائكم، وإن كرهتموهن وأحببتم غيرهن وتصبروا على ذلك مراعاة حق الصحبة[٢]، والخِطاب في قوله ﷻ: ﴿وَإِن تُحۡسِنُواْ﴾ يحتمل عدة وجوه :

الأول: أنه للأزواج بأن يحسنوا الإقامة على نسائهم وإن كرهوهنَّ.

الثاني: أنه خطاب للزوج والمرأة بمعنى يحسن كل واحد منكما إلى صاحبه.

الثالث: أنه خطاب لغيرهما، بمعنى: وأن تحسنوا في المصالحة بينهما وتتقوا الميل إلى واحد منهما[٣].

قلتُ:والإحسان مطلوب من الجميع، فيشمل جميع من ذكر أعلاه، والله أعلم.

وعلى الزوج أن يحسن إلى زوجته ، وإن كفرت إحسانه هذا ، فقد جاء في وصف بعض الزوجات أنهن يكفرن إحسان الزوج، فعن ابن عباس ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ:« أريتُ النار، فإذا أكثر أهلها النساء، يكفرن، قيل: أيكفرن بالله؟ قال: يكفرن العشير، ويكفرن الإحسان، لو أحسنت إلى إحداهن الدهر، ثم رأت

(١) انظر: تفسير الطبري: ٧/ ٥٦٦ ، و تفسير ابن كثير : ٣٠٥/٤.

(٢) انظر :الكشاف : ٦٠٥/١، وتفسير القرطبي : ٢٦١/٥، ونظم الدرر للبقاعي: (٣٢٩/٢).

(٣) انظر :التفسير الكبير للرازي: ٥٤/١١.

منك شيئاً، قالت: ما رأيتُ منك خيراً قط»[١].والعشير المقصود به هنا: الزوج، من المعاشرة [٢].

فإن تعذرت الصحبة والمعاشرة ورغب في الفراق، لزمه أن يفارقها بإحسان، قال الله تعالى: ﴿ ٱلطَّلَٰقُ مَرَّتَانِۖ فَإِمۡسَاكُۢ بِمَعۡرُوفٍ أَوۡ تَسۡرِيحُۢ بِإِحۡسَٰنٖۗ وَلَا يَحِلُّ لَكُمۡ أَن تَأۡخُذُواْ مِمَّآ ءَاتَيۡتُمُوهُنَّ شَيۡـٔٗا ﴾ البقرة: ٢٢٩، وذكر ابن جرير في معنى التسريح بإحسان أقوالا:

١- يسرحها فلا يظلمها من حقها شيئاً.

٢- الإحسان أن يوفيها حقها فلا يؤذيها، ولا يشتمها.

٣- أن يدعها حتى تمضي عدتها ويعطيها مهراً إن كان لها عليه إذا طلقها، فذلك التسريح بإحسان، والمتعة على قدر الميسرة. [٣]

وقال الألوسي: أن تسرح بإحسان: أي طلاق مصاحب له من جبر الخاطر وأداء الحقوق، وذلك إما بأن لا يراجعها حتى تبين، أو يطلقها ثلاثاً [٤].

قلتُ:والمعاني المذكورة في التسريح بإحسان متقاربة ، فكلها تفيد أن الإحسان إلى الزوجة تأدية حقها، والكف عن أذاها بأي صورة من الصور، فإذا كان الله قد حث الزوج على الإحسان إلى زوجته عند فراقها، فمن باب أولى أن تنال

---

(١) أخرجه: البخاري (١/١٩٠) برقم ٢٩ كتاب الإيمان، وأخرجه مسلم (٢/٥٢٢) رقم (٩٠٧) كتاب الكسوف.

(٢) انظر:صحيح البخاري: ٥/١٩٩٤ كتاب النكاح ، باب كفران العشير.

(٣) انظر :تفسير الطبري: ٤/١٣٣-١٣٤.

(٤) انظر :روح المعاني: ٢/١٣٥.

إحسانه عند معاشرته لها، وعليها أن تعترف له بذلك الإحسان، وأن تغض الطرف عن أي تقصير قد يحصل منه في بعض الأحيان، فإن ذلك من طبيعة البشر.

ج- الإحسان إلى البنات: قال ﷺ:« من يلي من هذه البنات شيئاً، فأحسن إليهن، كن له ستراً من النار »[١] ، والمقصود بالإحسان إلى البنات هو: أن لا يقتصر على قدر الواجب بل يزيد عليه ، كما جاء في سبب ذكر الحديث .

وقال ﷺ:« من عال ثلاث بنات فأدبهن وزوجهن وأحسن إليهن فله الجنة»[٢]. فقد جاء في بعض طرق الحديث أن الثواب يحصل لمن أحسن لواحدة فقط، فدل على أن من فعل معروفاً لم يكن واجباً عليه أو زاد على قدر الواجب عليه عد محسناً، والإحسان إلى كل أحد بحسب حاله[٣].

ويشمل الإحسان إلى البنات تأديبهن أثناء التربية، والزيارة والصلة لهن بعد الزواج[٤].

(١) أخرجه:البخاري (٥/٢٢٣٤) رقم (٥٦٤٩) كتاب الأدب، ومسلم (٤/١٦٠٨) برقم (٢٦٢٩) كتاب البر والصلة، من حديث عائشة.

(٢) أخرجه: أبو داود (٥/٣٥٥) برقم (٥١٤٧) كتاب الأدب، والترمذي (٤/٢٨٢) برقم (١٩١٦)، كتاب البر والصلة من حديث أبي سعيد الخدري».

(٣) انظر :فتح الباري: (١٢/٣٨).

(٤) انظر :عون المعبود، للعظيم أبادي: (١٤/٣٩).

د – الإحسان إلى المرأة الحامل ، إذا وقعت في حد حتى تضع حملها ، فقد ورد في الحديث ، أن امرأة من جهينة ، اعترفت عند رسول الله ﷺ فقالت: إني حبلى، فدعا النبي ﷺ وليها، فقال:« أحسن إليها، فإذا وضعت فأخبرني، ففعل، فأمر بها فشدت عليها ثيابها، ثم أمر برجمها، ثم صلى عليها، فقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: يا رسول الله، رجمتها ثم تصلي عليها ؟! ، فقال ﷺ: لقد تابت توبة لو قسمت بين سبعين من أهل المدينة لوسعتهم، وهل وجدت شيئاً أفضل من أن جادت بنفسها لله؟! »[1].

قال النووي[2]، رحمه الله: هذا الإحسان له سببان :

الأول:الخوف عليها من أقاربها أن تحملهم الغيرة ولحوق العار بهم أن يؤذوها، فأوصى بالإحسان إليها تحذيراً لهم من ذلك.

(١) أخرجه :مسلم (١٠٩٦/٣) برقم (١٦٩٦) ، كتاب الحدود، والترمذي (٣٣/٤) برقم (١٤٣٥) كتاب الحدود ، وأبو داود (٥٨٧/٤) برقم (٤٤٤٠) كتاب الحدود ، والنسائي (٦٣٦/١) رقم (٢٠٨٤) كتاب الجنائز.

(٢) هو: الإمام ، أبو زكرياء يحيى بن شرف بن مري النووي ، الدمشقي الشافعي ، ولد في شهر محرم سنة واحد وثلاثين وستمائة، صنف عدة تصانيف منها : شرحه على صحيح مسلم ، والمجموع ورياض الصالحين ، وغيرها، وتوفي في سنة ستمائة وستة وسبعين ، انظر ترجمته في : طبقات الشافعية الكبرى : (٨ / ٣٩٥) ، وطبقات الشافعية لابن قاضى شهبة : (٢ / ٢٢٣).

الثاني : أمر به رحمة لها إذ قد تابت، وحرض على الإحسان إليها لما في نفوس الناس من النفرة من مثلها، وإسماعها الكلام المؤذي ونحو ذلك ، فنهي عن هذا كله[١].

و- الإحسان إلى الأمة المملوكة : كما في قوله ﷺ:« إذا أدب الرجل أمته فأحسن تأديبها وعلمها وأحسن تعليمها ثم أعتقها فتزوجها كان له أجران »[٢]، وفي رواية :« فأحسن غذاءها »[٣].

وهذا يعني أن الإحسان إلى المملوكة يشمل : حسن التأديب : يؤدبها من غير عنف وضرب، بل بالرفق واللطف ، وحسن التغذية: بأن يطعمها مما يطعم، ولا يستأثر بطعام دونها ،وحسن التعليم :أي يعلمها أمور دينها ،ويحسن إليها بإعتاقها من الرِّق، ويجعلها حرة ،ويحسن إليها بالزواج منها، فإن فعل هذه الأمور كلها كان له أجران.

قلت: وإن كان هذا النوع لم يعد موجودا اليوم بسبب ضعف الأمة ، فيبقى حكما شرعيا معروفا حتى يأتي وقته ، وما ذاك على الله بعزيز.

٤- الإحسان إلى الأقارب والجيران والأصحاب:

---

(١) انظر : شرح مسلم للنووي : (٣٤٩/١١).

(٢) أخرجه : البخاري (٤٨/١) برقم (٩٧)، كتاب العلم، و(١٢٧١/٣) برقم (٣٢٦٢)، في كتاب الأنبياء، و(١٩٥٥/٥) برقم (٤٧٩٥) في كتاب النكاح من حديث أبي موسى.

(٣) أخرجه : الدارمي (١٤٤٠/٣) برقم (٢٢٩٠) كتاب النكاح.

قال تعالى: ﴿ وَٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا ۖ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا وَبِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱلْجَارِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْجَارِ ٱلْجُنُبِ وَٱلصَّاحِبِ بِٱلْجَنۢبِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا ﴾ النساء: ٣٦، ففي هذه الآية يأمر الله تعالى بعبادته وحده لا شريك له فإنه الخالق الرازق المنعم المتفضل على خلقه في جميع الأحوال ثم أوصى بالإحسان إلى الوالدين ....لأنه تعالى جعلهما سبباً لخروج الولد من العدم إلى الوجود، ثم عطف على الإحسان إلى الوالدين الإحسان إلى القرابات من الرجال والنساء كما جاء في الحديث: « الصدقة على المسكين صدقة وعلى ذي الرحم صدقة وصلة »[1]، ثم قال "واليتامى" لأنهم فقدوا من يقوم بمصالحهم ومن ينفق عليهم ، ثم قال : "والمساكين " وهم المحاويج من ذوي الحاجات الذين لا يجدون ما يقوم بكفايتهم ، فأمر الله تعالى بمساعدتهم بما تتم به كفايتهم [2]

وهذه الآية اشتملت على أصناف عدة أمر الله بالإحسان إليهم، ويمكن تقسيمهم إلى فئات:

الأولى: الوالدان، وقد سبق الحديث عنهما.

---

(١) أخرجه :الدارمي ٤٨٨٨/١ برقم ١٦٨٠ والترمذي ٤٧/٣ برقم ٦٥٨ وحسنه ،والنسائي ٩٢/٥ برقم ٢٥٨٢ وابن خزيمة في صحيحه ٤/ ٧٧ برقم ٢٣٨٥

(٢) انظر : عمدة القاري ج١٣/ص١٠٦ ، دار إحياء التراث العربي، بيروت. بدون تاريخ

الفئة الثانية: الأقارب والجيران والأصحاب، وهم الذين للإنسان بهم علاقة لسبب من الأسباب، إما القرابة أو المجاورة أو المصاحبة، والمطلوب من المسلم شرعاً، الإحسان المطلق في هذه العلاقة، بحيث يفعل ما هو حسن مع هؤلاء جميعاً.

وقد نصت السنة النبوية على ضرورة الإحسان إلى الأقارب وإن أساؤوا ، فعن أبي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَجُلًا قال يا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّ لي قَرَابَةً أَصِلُهُمْ وَيَقْطَعُونِي وَأُحْسِنُ إِلَيْهِمْ وَيُسِيئُونَ إِلَي وَأَحْلُمُ عَنْهُمْ وَيَجْهَلُونَ عَلَيَّ فقال : « لَئِنْ كُنْتَ كما قُلْتَ فَكَأَنَّمَا تُسِفُّهُمْ الْمَلَّ ولا يَزَالُ مَعَكَ من اللَّهِ ظَهِيرٌ عليهم ما دُمْتَ على ذلك »[(١)]، ومعناه: كأنما تطعمهم الرماد الحار وهو تشبيه لما يلحقهم من الألم بما يلحق آكل الرماد الحار من الألم، ولا شيء على هذا المحسن، بل ينالهم الإثم العظيم في قطيعته وإدخالهم الأذى عليه ، وقيل : معناه : إنك بالإحسان إليهم تخزيهم وتحقرهم في أنفسهم لكثرة إحسانك وقبيح فعلهم من الخزي والحقارة عند أنفسهم كمن يسف الملل ، وقيل : ذلك الذي يأكلونه من إحسانك كالملل يحرق أحشاءهم [(٢)].

كما نصت السنة النبوية على ضرورة الإحسان إلى الجيران، قال ﷺ: « من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليحسن إلى جاره »[(٣)].

---

(١) أخرجه: مسلم ٤/ ١٩٨٢برقم ٢٥٥٨

(٢) انظر :شرح النووي على صحيح مسلم ج١٦/ص١١٥

(٣) أخرجه: مسلم (١/ ٧٠) رقم (٤٧) كتاب الإيمان.

ومعنى ذلك: إن من التزم شرائع الإسلام لزمه إكرام جاره وبره، وأمر أهل الإيمان بذلك، وكل هذا تعريف بحق الجار، وحض على حفظه، وقد أوحى الله بالإحسان إليه في كتابه، وقال ﷺ:« ما زال جبريل يوصيني بالجار حتى ظننتُ أنه سيورثه »[١] [٢].

ويحصل امتثال الوصية به بإيصال ضروب الإحسان إليه بحسب الطاقة كالهدية والسلام وطلاقة الوجه عند لقائه وتفقد حاله ومعاونته فيما يحتاج إليه إلى غير ذلك وكف أسباب الأذى عنه على اختلاف أنواعه حسية كانت أو معنوية .[٣]

الفئة الثالثة: الإحسان إلى ذوي الحاجات ، وهم :

أ- الأيتام، واليتيم هو:الذي فقد أباه قبل البلوغ ، وقد أمر الله ﷻ بالإحسان إلى الأيتام عموماً، والتعامل الحسن مع أموالهم خصوصاً، قال تعالى: ﴿ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا وَبِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ فَخُورًا ﴾ النساء: ٣٦، أي يحسن إليهم ويفعل بهم عموماً ما هو حسن، ومن ذلك الإحسان إليهم في التربية، فقد جاء في الحديث: « ومن أحسن إلى يتيمة أو يتيم عنده، كنت أنا وهو في الجنة كهاتين، وقرن بين أصبعيه السبابة والوسطى »[٤].

---

(١) أخرجه: البخاري ٥/٢٢٣٩ برقم ٥٦٦٩

(٢) انظر :إكمال المعلم، للقاضي عياض (١/٢٨٤).

(٣) انظر : فتح الباري ج١٠/ص٤٤٢

(٤) أخرجه: أحمد (٥/٢٥٠) رقم (٢٢١٥٣)، قال المحقق: صحيح لغيره.

وقال تعالى: ﴿ وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّى يَبْلُغَ أَشُدَّهُ ﴾ الأنعام: ١٥٢، الإسراء٣٤.

وإنما خص مال اليتيم بالذكر وإن كان مال غيره في التحريم بمثابته، لأن الطمع فيه أقوى، فكان بالذكر أولى ، وفي قوله: ﴿إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ﴾ أربعة أقوال:

الأول: حفظ ماله عليه إلى أن يكبر ليتسلمه .

الثاني: أن ذلك هو التجارة به .

الثالث : ألا يأخذ من الربح إذا اتجر له بالمال شيئاً.

الرابع: أن يأكل الولي بالمعروف من ماله إن افتقر، ويترك إذا استغنى، ولا يتعدى من الأكل إلى اللباس ولا غيره ، ويحتمل قولاً خامساً: أن التي هي أحسن: حفظ أصوله وتثمير فروعه [١].

قلتُ: والأقوال السابقة بعضها يدخل في بعض ، والمقصود منها هو الحفاظ على مال اليتيم ، ويشملها معنى قوله: ﴿ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ﴾ ، أي بالخصلة التي هي أحسن ما يفعل بمال اليتيم.

ب- المساكين ، والمسكين هو : المتخشع المتذلل من الفاقة والحاجة وهو (مفعيل) من المسكنة، والمسكنة هي ذل الحاجة والفاقة[٢]

(١) انظر :النكت والعيون: ١٨٧/٢، و زاد المسير: ٦١٤/٣.

(٢) انظر :تفسير الطبري :(٣٩٠/١).

وهؤلاء يحتاجون إلى الإحسان إليهم بمعنى معاملتهم بالحسنى لضعفهم وقلة حيلتهم، ويحتاجون إلى الإنعام عليهم لحاجتهم إليه بسبب الفقر والحاجة.

ج- ابن السبيل : وهو المسافر المجتاز الذي قد فرغت نفقته فيعطي ما يوصله إلى بلده ، وكذا الذي يريد سفرا في طاعة ، وهو محتاج ؛ فيعطى ما يكفيه في ذهابه وإيابه[١] .

د- المماليك : وهم الأرقاء ، وقد أمر الله بالوصية بهم ؛ لأن الرقيق ضعيف الحيلة أسير في أيدي الناس[٢] وقد ثبت أن رسول الله ﷺ جعل يوصي أمته في مرض الموت يقول :« الصلاة، الصلاة، وما ملكت أيمانكم ، فجعل يرددها حتى ما يفيص _ بالصاد المهملة _ بها لسانه »[٣] ، أي ما يقدر على الإفصاح بها[٤]

٥- الإحسان إلى من له حق، بإعطائه حقه من غير مطل ولا نقص ولا إساءة، وقد جاء الأمر بذلك على وجه الخصوص في حالتين:

الأولى: من أعفي عن القصاص إلى الدية، قال تعالى: ﴿ فَمَنْ عُفِيَ لَهُۥ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ فَٱتِّبَاعٌۢ بِٱلْمَعْرُوفِ وَأَدَآءٌ إِلَيْهِ بِإِحْسَٰنٍ ذَٰلِكَ تَخْفِيفٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَرَحْمَةٌ ﴾ البقرة: ١٧٨ ، أي على

(١) انظر : تفسير ابن كثير ٢٠٩/١ .

(٢) انظر : تفسير ابن كثير :٤٩٦/١

(٣) أخرجه: ابن ماجة :٥١٩/١ برقم ١٦٢٥ و النسائي في الكبرى :٢٨٥/٤ برقم ٧٠٩٨،و ابن حبان في صحيحه ٥٧٠/١٤ برقم ٦٦٠٥ ، وإسناده صحيح

(٤) انظر : النكت والعيون: ١٨٧/٢، و زاد المسير: ٦١٤/٣.

المطلوب منه أداء الدية بالإحسان من غير مماطلة[١] ، من غير أن يبخسه حقًّا له قبله بسبب ذلك، أو يحوجه إلى اقتضاءٍ ومطالبة[٢]، فهل جزاء الإحسان إليه بالعفو إلا الإحسان بحسن القضاء[٣].

الثانية: الأمر بحسن قضاء الدين لصاحبه، جاء في حديث أبي رافع:« أن رسول الله ﷺ استلف من رجل بكراً [٤] فقدمت عليه إبل من إبل الصدقة، فأمر أبا رافع أن يقضي الرجل بكراً، فرجع إليه أبو رافع فقال: لم أجد فيها إلا خياراً رباعياً، فقال: أعطه إياه، إن خيار الناس أحسنهم قضاء »، وفي رواية:« وخيركم أحسنكم قضاء »[٥].

٦- الإحسان إلى المدعوين عموماً، قال الله تعالى: ﴿وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا﴾ البقرة: ٨٣ ، واختلف المفسرون في معناها، فقال ابن عباس: قولوا لهم: لا إله إلا الله ومروهم بها، وقال ابن جريح [٦]: قولوا لهم : حسناً في الإعلام بما في كتابكم

(١) انظر : معالم التنزيل: (١٠٢/١).

(٢) انظر : تفسير الطبري :(١١٠/٣)،و الكشاف: ٢٤٨/١.

(٣) انظر : تفسير السعدي : (١٤٠/١).

(٤) البكر: الفتي من الإبل بمنزلة الغلام من الناس انظر: النهاية في غريب الأثر ، لابن الأثير ١٤٩/١، المكتبة العلمية ،بيروت،١٣٩٩هـ

(٥) أخرجه: مسلم (٩٩٢/٣) برقم (١٦٠٠) كتاب المساقاة، وأبو داود : (٦٤١/٣) برقم (٣٣٦٤)، كتاب البيوع، والترمذي (٦٠٩/٣) برقم (١٣١٨) كتاب البيوع، والنسائي :(٤٠/٤) برقم (٦٢١٠) كتاب البيوع.

(٦) هو: عبد الملك بن عبد العزيز بن جريج الأموي مولاهم المكي ثقة فقيه فاضل ، مات سنة ١٥٠ هـ ، انظر ترجمته في : الكاشف : (١ / ٦٦٦)، تقريب التهذيب - (٢ / ٣٦٣).

من صفة رسول الله ﷺ، وقال أبو العالية [١]: قولوا لهم: القول الطيب وجاوبوهم بأحسن ما تحبون أن تجاوبوا به ، وقال سفيان الثوري[٢]: مروهم بالمعروف، وانهوهم عن المنكر، وقال ابن عباس أيضاً: صدقاً في أمر محمد ﷺ [٣].

قلت: وهذه الآية وإن كان سياقها في بني إسرائيل ،على القول بأن الخطاب لهم ؛ إلا أن الأمر بها عاماً لجميع المؤمنين، ولذلك من فسرها بالإخبار عن صفة محمدﷺ ونحوه إنما نظر إلى سياقها ، وما ذكروه كذلك يدخل في عموم القول الحسن.

وقال تعالى: ﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ﴾النحل: ١٢٥، فالموعظة الحسنة هي التي لا يخفى عليهم أنك تناصحهم بها، وتقصد ما ينفعهم فيها، ويجوز أن يريد القرآن، ادعهم بالكتاب الذي هو حكم وموعظة وحسنة[٤]، وقيل الموعظة الحسنة هي الدعاء إلى الله بالترغيب والترهيب، والترهيب، وقيل: هو قول اللين الرقيق من غير تغليظ ولا تعنيف[٥].

---

(١) هو: رفيع ، بالتصغير ، ابن مهران أبو العالية الرياحي بكسر الراء والتحتانية ثقة كثير الإرسال من الثانية ، مات سنة تسعين وقيل ثلاث وتسعين وقيل بعد ذلك . انظر ترجمته في : الكاشف : (١ / ٣٩٧)،تقريب التهذيب - (١ / ٢١٠)

(٢) هو : سفيان بن سعيد بن مسروق الثوري ، ثقة حافظ فقيه ، مات سنة إحدى وستين ومائة ، انظر ترجمته في: الكاشف : (١ / ٤٤٩)، و تقريب التهذيب - (١ / ٢٤٤) .

(٣) انظر تلك الأقوال في : البحر المحيط (٦٤١/١).

(٤) انظر :الكشاف :(٦٠١/٢).

(٥) انظر : معالم التنزيل: (٧٤/٣).

والمجادلة بالتي هي أحسن، ذكر فيها ابن الجوزي أقوالاً:

الأول: جادلهم بالقرآن.

الثاني: جادلهم بلا إله إلا الله.

الثالث: جادلهم غير فظ ولا غليظ وألن لهم الجانب.(١)

قلت: ولا تعارض بين هذه الأقوال، فكلها يشملها المعنى العام للآية فالمجادلة بالتي هي أحسن ، هي: المخاصمة والمناظرة بالتي هي أحسن من غيرها، وأن تصفح عما قالو في عرضك من الأذى،.

وقال تعالى: ﴿ وَقُل لِّعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنزَغُ بَيْنَهُمْ ﴾الإسراء: ٥٣ يأمر تبارك وتعالى عبده ورسوله محمداً ﷺ ، أن يأمر عباد الله المؤمنين أن يقولوا في مخاطبتهم ومحاورتهم الكلام الأحسن والكلمة الطيبة، فإنه إذا لم يفعلوا ذلك نزغ الشيطان بينهم(٢)، وعلى هذا يكون معنى الآية عاماً.

وذهبت طائفة إلى أن الله أمر في هذه الآية المؤمنين فيما بينهم خاصة بحسن الأدب وإلانة القول وخفض الجناح واطراح نزغات الشيطان(٣).

وقال الله تعالى: ﴿ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ السَّيِّئَةَ ۚ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَصِفُونَ ﴾ المؤمنون: ٩٦، أمر بالصفح ومكارم الأخلاق وما كان منها ، لهذا فهو حكم باق في الأمة أبداً وما

(١) انظر :زاد المسير (٣٨٦/٤).

(٢) انظر : تفسير ابن كثير:(٢٨/٩).

(٣) انظر :تفسير القرطبي:(١٨٠/١٠).

كان فيها من معنى موادعة الكفار وترك التعرض لهم والصفح عن أمورهم فمنسوخ بالقتال[١].

قلتُ: والذي يظهر لي من أقوال أهل العلم أن آيات الصفح والعفو عن الكفار غير منسوخة مطلقاً بآيات القتال والسيف، بل مرتبطة بحالة المسلمين من حيث القوة والضعف، فإن كان المؤمنون في مرحلة استضعاف ،كما كان حال المؤمنين بمكة لزمهم الإعراض عنهم والصفح وعدم التعرض لهم، وإن كان المؤمنون في مرحلة قوة، كما كان حالهم في المدينة ، وجب عليهم دفع شر الكفار وقتالهم، والله أعلم.

٧- إحسان العبد مع سيده: ومنه قوله تعالى، على لسان يوسف، عليه السلام: ﴿ قَالَ مَعَاذَ ٱللَّهِ إِنَّهُۥ رَبِّيٓ أَحۡسَنَ مَثۡوَايَ ﴾يوسف: ٢٣، قال القاضي أبو محمد بن عطية : " ومعاذ " نصب على المصدر ، ومعنى الكلام : أعوذ بالله ، ثم قال: "إنه ربي"، فيحتمل أن يعود الضمير في" إنه" على الله عز وجل، ويحتمل أن يريد العزيز سيده، أي فلا يصلح لي أن أخونه وقد أكرم مثواي وائتمنني ، قال مجاهد والسدي : ربي معناه سيدي، وقاله ابن إسحاق ، وإذا حفظ الآدمي لإحسانه ، فهو عمل زاكٍ وأحرى أن يحفظ ربه ".[٢]

(١) انظر : المحرر الوجيز :(١٥٥/٤)، وتفسير القرطبي: (٩٨/١٢).

(٢) انظر: المحرر الوجيز ج٣/ص٢٣٣،.

وقال الزجاج[١] : إن الضمير لله سبحانه : أي إن الله ربي تولاني بلطفه فلا أركب ما حرمه [٢].

قال ابن تيمية[٣] : والمراد بربه، في أصح القولين هنا سيده، وهو زوجها الذي اشتراه من مصر الذي قال لامرأته : أكرمي مثواه [٤].

وقوله تعالى على لسان يوسف : ﴿وَقَدْ أَحْسَنَ بِيٓ﴾ يوسف: ١٠٠، أي : أوقع وناط إحسانه بي فهذا منحى في وصول الإحسان بالباء وقد يقال أحسن إلي وأحسن في .... وهذه المناحي مختلفة المعنى وأليقها بيوسف، قوله : بي، لأنه إحسان درج فيه دون أن يقصد هو الغاية التي صار إليها [٥].

---

(١) هو: إبراهيم بن السرى بن سهل أبو إسحاق النحوي الزجاج ، كان من أهل الفضل والدين وجميل المذهب والاعتقاد ، من تصانيفه :معاني القرآن في التفسير ، وخلق الإنسان ، وتفسير جامع المنطق ، توفي في جمادي الآخرة سنة إحدى عشرة وثلاثمائة. انظر ترجمته في : تاريخ بغداد ج٦:ص٨٩ ، و طبقات المفسرين للداودي ج١:ص٥٢.

(٢) انظر: فتح القدير : ج٣/ص١٧

(٣) هو : الإمام العلامة الحافظ الناقد الفقيه المجتهد المفسر البارع شيخ الإسلام ، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن تيمية الحراني ، أحد الأعلام ولد في ربيع الأول سنة إحدى وستين وستمائة ، صنف في شتى فنون العلم ومات في العشرين من ذي القعدة سنة ثمان وعشرين وسبعمائة. انظر ترجمته في: الوافي بالوفيات ج٧:ص١٢، وطبقات الحفاظ ج١:ص٥٢٠.

(٤) انظر: فتاوى ابن تيمية :ج١٥/ص١١١ مكتبة ابن تيمية / ط /٢

(٥) انظر: المحرر الوجيز (٣/ ٢٨٢) .

- **النوع الرابع:الإحسان مع باقي الخلق ويشمل:**

١- الحيوان، قالﷺ :« إن الله كتب الإحسان على كل شيء، فإذا قتلتم فأحسنوا القتلة، وإذا ذبحتم فأحسنوا الذبحة، وليحد أحدكم شفرته، وليرح ذبيحته»[١].

وهذا الحديث يدل على وجوب الإحسان في كل شيء من الأعمال، لكن إحسان كل شيء بحسبه، فالإحسان في قتل ما يجوز قتله من الناس والدواب، إزهاق نفسه على أسرع الوجوه وأسهلها وأرحمها من غير زيادة في التعذيب، فإنه إيلام لا حاجة إليه، وهذا النوع هو الذي ذكره النبي ﷺ في الحديث ولعله ذكره على سبيل المثال، أو للحاجة إلى بيانه في تلك الحال، فقال:« فإذا قتلتم فأحسنوا القتلة »، والقتلة والذبحة ، بالكسر أي: الهيئة والمعنى :أحسنوا هيئة الذبح وهيئة القتل، وهذا يدل على وجوب الإسراع في إزهاق النفوس التي يباح إزهاقها على أسهل الوجوه[٢].

ومن الإحسان إلى الحيوان إطعامه جاء في الحديث : « في كل كبد رطبة أجر »[٣] ومعناه : إن الإحسان إلى كل حيوان حي بسقيه ونحوه ، فيه أجر ،

---

(١) أخرجه: مسلم (١٢٣١/٣)، رقم (١٩٥٥)سبق ذكره.

(٢) انظر :جامع العلوم والحكم ، لابن رجب ١٨٨ شرح حديث رقم ١٧ ، دار ابن حزم ،ط/١، عام: ١٤١٨هـ

(٣) أخرجه : البخاري :٨٣٣/٢ برقم ٢٢٣٤ ومسلم :١٧٦١/٤ ، برقم: ٢٢٤٤

وسمى الحي ذا كبد رطبة، لأن الميت يجف جسمه وكبده، ففي هذا الحديث الحث على الإحسان إلى الحيوان المحترم وهو ما لا يؤمر بقتله[١]

٢- البيئة والطريق ، وذلك بنظافتها ، فقد جعل النبي ﷺ ، إماطة الأذى عن الطريق من محاسن الأعمال ، قالﷺ :« عرضت علي أعمال أمتي حسنها وسيئها، فوجدت من محاسن أعمالها :الأذى يماط عن الطريق، ووجدت في مساوئ أعمالها :النخامة تكون في المسجد لا تدفن»[٢].

(١) انظر : شرح النووي على صحيح مسلم ج١٤/ص٢٤١

(٢) أخرجه : مسلم (٣٢٦/١) رقم (٥٥٣) كتاب المساجد.

المبحث الثالث: ثمرات الإحسان في الدنيا والآخرة

مما لاشك فيه أن عمل المحسنين لا يضيع عند ربهم ، بل يجدون أثره ، وثمرته في حياتهم ، وبعد مماتهم ، وليست تلك الثمرات والآثار العظيمة للإحسان بخافية على من تتبع نصوص القرآن الكريم والسنة الصحيحة ، فالمحسن يجد أثر ذلك في حياته الدنيوية ، وهي عاجل بشرى المؤمن ، أما في الآخرة فكثيرة جدا ، وهذا من فضل الله وكرمه على عباده المحسنين .

- **أولاً: ثمرات الإحسان في الدنيا:**

١- الجزاء الحسن من الله تعالى للمحسنين بسبب إحسانهم ، بالثناء والذكر الحسن في الدنيا ، حيث جاء التعقيب بقوله تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾ ولم يقل العاملين مما يشعر بأن الجزاء إنما هو على الإحسان في العمل لا على مجرد العمل فقط ، وأن الغاية من التكليف إنما هي الإحسان في العمل[1]، وقد تكرر التعقيب بقوله تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾ بعد ذكر مجموعة من الأنبياء والرسل وكذلك بعد ذكر المتقين ، فمن ذلك :

قوله تعالى: ﴿ وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ ۚ كُلًّا هَدَيْنَا ۚ وَنُوحًا هَدَيْنَا مِن قَبْلُ ۖ وَمِن ذُرِّيَّتِهِۦ دَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾ الأنعام: ٨٤ ومعنى الآية : كما أصلحنا ذرية إبراهيم الخليل لأنه أحسن في عبادة ربه وأحسن

(١) انظر : أضواء البيان ٨/ ٤٠٤

في نفع الخلق كذلك نجزي المحسنين بأن نجعل لهم من الثناء الصدق والذرية الصالحة بحسب إحسانهم[١].

وقوله تعالى: ﴿ وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُۥٓ ءَاتَيْنَٰهُ حُكْمًا وَعِلْمًاۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾ يوسف: ٢٢ والمعنى :كما جزيت يوسف فآتيته بطاعته إياي الحكم والعلم ومكنته في الأرض واستنقذته من أيدي إخوته الذين أرادوا قتله كذلك نجزي من أحسن في عمله فأطاعني في أمري وانتهى عما نهيته عنه من معاصيَ ، وهذا وإن كان مخرج ظاهره على كل محسن فإن المراد به محمد نبي الله صلى الله عليه وسلم يقول له عز وجل كما فعلت هذا بيوسف من بعد ما لقي من إخوته ما لقي وقاسى من البلاء ما قاسى فمكنته في الأرض ووطأت له في البلاد فكذلك أفعل بك فأنجيك من مشركي قومك الذين يقصدونك بالعداوة وأمكن لك في الأرض وآتيتك الحكم والعلم لأن ذلك جزائي أهل الإحسان في أمري ونهيي[٢]، وكذلك أي مثل ذلك الجزاء العجيب ؛ نجزي المحسنين ، أي كل من يحسن في عمله فيجب أن يكون ذلك بعد انقضاء أعماله الحسنة التي من جملتها معاناة الأحزان والشدائد[٣]..

(١) انظر : تفسير السعدي ١/ ٢٦٣

(٢) انظر : تفسير الطبري ١٢/١٧٨

(٣) انظر : تفسير أبي السعود :٤/٣٦٤

وقوله تعالى: ﴿ وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ وَٱسْتَوَىٰٓ ءَاتَيْنَٰهُ حُكْمًا وَعِلْمًا ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾ القصص:١٤، أي: وكذلك نجزي المحسنين في عبادة الله المحسنين لخلق الله نعطيهم علما وحكما بحسب إحسانهم ودل هذا على كمال إحسان موسى عليه السلام [١]..

وقوله تعالى: ﴿ سَلَٰمٌ عَلَىٰ نُوحٍ فِى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٧٩﴾ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾ الصافات: ٧٩ - ٨٠، قوله تعالى: ﴿ سَلَٰمٌ عَلَىٰ نُوحٍ فِى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ الصافات: مفسر لما أبقى عليه من الذكر الجميل والثناء الحسن أنه يسلم عليه في جميع الطوائف والأمم ، ﴿ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾ أي هكذا نجزي من أحسن من العباد في طاعة الله تعالى نجعل له لسان صدق يذكر بعده بحسب مرتبته في ذلك [٢].

وقوله تعالى: ﴿ وَنَٰدَيْنَٰهُ أَن يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ ﴿١٠٤﴾ قَدْ صَدَّقْتَ ٱلرُّءْيَآ ۚ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾ الصافات: ١٠٤ - ١٠٥ والمعنى: إنا كما عفونا عن إبراهيم عن ذبح ولده ؛ نجزي من أحسن في طاعتنا ، وقال مقاتل: جزاه الله بإحسانه في طاعته العفو عن ذبح ابنه [٣].

وقوله تعالى: ﴿ سَلَٰمٌ عَلَىٰ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ﴿١٢٠﴾ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾ الصافات: ١٢٠ - ١٢١ قوله تعالى: كذلك نجزي المحسنين، يقول: كما جزينا إبراهيم

(١) انظر : تفسير السعدي ج١/ص٢٦٣

(٢) انظر : تفسير ابن كثير :١٣/٤

(٣) انظر : معالم التنزيل :٣٤/٤

على طاعته إيانا وإحسانه في الانتهاء إلى أمرنا كذلك نجزي المحسنين، إنه من عبادنا المؤمنين يقول: إن إبراهيم من عبادنا المخلصين لنا الإيمان[١].

وقوله تعالى: ﴿ سَلَٰمٌ عَلَىٰٓ إِلْ يَاسِينَ ﴿١٣٠﴾ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِي ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾ الصافات: ١٣٠ - ١٣١ يقول تعالى ذكره إنا هكذا نجزي أهل طاعتنا والمحسنين أعمالاً وقوله : ﴿ إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ ، يقول: إن إلياس عبد من عبادنا الذين آمنوا فوحدونا وأطاعونا ولم يشركوا بنا شيئا[٢].

كما قد جاء التنصيص على نوع خاص من الإحسان لبعض أنبيائه بسبب إحسانهم:

أ- إحسان الله إلى إبراهيم عليه السلام، قال تعالى: ﴿ وَءَاتَيْنَٰهُ فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً ﴾ النحل: ١٢٢، آتيناه على قنوته لله وشكره له على نعمه، وإخلاصه العبادة له في هذه الدنيا ذكراً حسناً وثناءً جميلاً باقياً على الأيام[٣]، وقال ابن كثير: جمعنا له خير الدنيا من جميع ما يحتاج المؤمن إليه في إكمال حياته الطيبة[٤].

ب- إحسان الله إلى يوسف عليه السلام ، قال تعالى: ﴿ وَقَدْ أَحْسَنَ بِىٓ إِذْ أَخْرَجَنِى مِنَ ٱلسِّجْنِ وَجَآءَ بِكُم مِّنَ ٱلْبَدْوِ ﴾ يوسف: ١٠٠ ، أي أوقع إحسانه بي تصديقاً لما بشرني به من

(١) انظر : تفسير الطبري ٨٨/٢٣

(٢) انظر : تفسير الطبري ٢٣/ ٩٦

(٣) انظر : تفسير الطبري: (٣٩٧/١٤).

(٤) انظر : تفسير ابن كثير :(٣٦٦/٨).

تمام النعمة، وتعديه " أحسن " بالباء أدل على القرب من التعدية بإلى ، وقيل: ضُمِّن معنى اللطف، فتعدى بالباء كقوله تعالى: ﴿ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَانًا ﴾ (١)

ج- إحسان الله إلى موسى ،عليه السلام ، قال تعالى: ﴿ ثُمَّ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ تَمَامًا عَلَى ٱلَّذِىٓ أَحْسَنَ وَتَفْصِيلًا لِّكُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لَّعَلَّهُم بِلِقَآءِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ ﴾ الأنعام: ١٥٤ ، وقد وردت عدة أقوال في معنى الآية(٢)، وأولى هذه الأقوال بالصواب عند ابن جرير هو قول من قال: معناه: ثم آتينا موسى الكتاب تماماً لنعمنا عنده ، على الذي أحسن موسى في قيامه بأمرنا ونهينا ، لأن ذلك أظهر معانيه في الكلام ، وإن إيتاء موسى كتابه نعمة من الله عليه ومنة عظيمة ، فأخبر جل ثناؤه، أنه أنعم بذلك عليه لما سلف له من صالح عمل وحسن طاعة(٣).

٢- استماع الله سبحانه ، استماعا يليق به سبحانه ، إلى من يقرأ القرآن بصوت حسن، عن أبي هريرة (٤)رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ :« ما أذن الله لشيء ما أذن لنبي حسن الصوت يتغنى بالقرآن يجهر به »(٥)، وعن فضالة بن

(١) انظر : البحر المحيط (٣٢٨/٦)، والسراج المنير (٢٠٠/٣) ، وروح المعاني (٥٩/١٣) و التحرير والتنوير (٥٧/١٣).

(٢) انظر :زاد المسير (١١٨/٣).

(٣) انظر:تفسير الطبري : (٦٧٧/٩).

(٤) هو: أبو هريرة الدوسي صاحب رسول الله صلى الله عليه و سلم وأكثرهم حديثا عنه ، اختلف في اسمه كثيرا، أصحها أنه: عبد الرحمن بن صخر ،توفي سنة سبع وخمسين ، وقيل غير ذلك ، انظر ترجمته في: الاستيعاب في معرفة الأصحاب: (٢ / ٧٠) ، وأسد الغابة :(١ / ١٢٥٨).

(٥) أخرجه :مسلم (٤٥٧/١) برقم (٧٩٢) كتاب صلاة المسافرين.

عبيد [١] ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ:« لله أشد أذناً إلى الرجل الحسن الصوت بالقرآن يجهر به من صاحب القينة إلى قينته»[٢]. والقينة الأمة ، غنت أو لم تغن ، والماشطة وكثيرا ما تُطلق على المغنية في الإماء وجمعها قينات [٣]، وأذِن : بكسر الذال، قال العلماء: معنى أذن الله : الاستماع ، ومنه قوله تعالى: ﴿ وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ ﴾ الانشقاق: ٢، ٥[٤].

وقال رسول الله ، ﷺ:« حسنوا القرآن بأصواتكم، فإن الصوت الحسن يزيد القرآن حسناً »[٥]، والمراد بقوله : حسنوا أصواتكم أي زينوا أصواتكم بالترتيل، والجهر به وتحسين والصوت[٦].

٣- حب الله تعالى للمحسنين قال تعالى: ﴿ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾ الَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ ۗ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴾ آل عمران: ١٣٣ - ١٣٤ ، يجوز أن تكون اللام للجنس ، فيتناول كل محسن ويدخل تحته هؤلاء المذكورون ، وأن تكون للعهد ، فيكون إشارة إلى هؤلاء ، واعلم أن الإحسان

---

(١) هو: فضالة بن عبيد بن ناقد بن قيس بن صهيب الأنصاري ، صحابي جليل ، أول مشاهده أحد ثم شهد المشاهد كلها ، توفي سنة ثلاث وخمسين. انظر ترجمته في : الإستيعاب في معرفة الأصحاب - (١ / ٣٩٠)، وأسد الغابة - (١ / ٨٩٧).

(٢) أخرجه : ابن ماجه (١/ ٣٤٠) برقم (١٣٤٠) كتاب إقامة الصلاة . .

(٣) انظر : النهاية في غريب الأثر ١٣٥/٤.

(٤) انظر : شرح مسلم للنووي :٧٨/٦.

(٥) سبق تخريجه، بهامش رقم ٥٣، وإسناده صحيح.

(٦) انظر شرح المشكاة للطيبي :(٣٤٦/٤)، ومرقاة المفاتيح للقاري (٧٠٧/٤).

إلى الغير : إما أن يكون بإيصال النفع إليه أو بدفع الضرر عنه ، أما إيصال النفع إليه فهو المراد بقوله: ﴿ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ ﴾ ويدخل فيه إنفاق العلم وذلك بأن يشتغل بتعليم الجاهلين وهداية الضالين ويدخل فيه إنفاق المال في وجوه الخيرات والعبادات وأما دفع الضرر عن الغير فهو إما في الدنيا وهو أن لا يشتغل بمقابلة تلك الإساءة بإساءة أخرى وهو المراد بكظم الغيظ وإما في الآخرة وهو أن يبرئ ذمته عن التبعات والمطالبات في الآخرة وهو المراد بقوله تعالى: ﴿ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ ﴾ ، فصارت هذه الآية من هذا الوجه دالة على جميع جهات الإحسان إلى الغير ، ولما كانت هذه الأمور الثلاثة في كونها إحساناً إلى الغير ذكر ثوابها فقال: ﴿ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾ ، فإن محبة الله للعبد أعظم درجات الثواب[1] .

وتكرر ذكر محبة الله للمحسنين في خمسة مواطن ، قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾ البقرة: ١٩٥ وقال تعالى: ﴿ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾ آل عمران: ١٣٤ ، وقال تعالى: ﴿ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾ آل عمران: ١٤٨، قال تعالى : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾ المائدة: ١٣ ، وقال تعالى : ﴿ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾ المائدة: ٩٣.

٤- معية الله الخاصة للمحسنين، قال تعالى: ﴿ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾ العنكبوت: ٦٩، وقال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ ﴾ النحل: ١٢٨، أي : وهو

(١) انظر التفسير الكبير للرازي: (٨/٩).

سبحانه معهم بالنصرة والمعونة والحفظ والهداية ومع الجميع بالإحاطة والقدرة فبين المعيتين بون[١].

٥- قرب رحمة الله من المحسنين، قال تعالى: ﴿ وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا وَادْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِنَ الْمُحْسِنِينَ ﴾ الأعراف: ٥٦ ، فقوله تعالى: ﴿ وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا ﴾ ينهى تعالى عن الإفساد في الأرض، وما أضره بعد الإصلاح، فإنه إذا كانت الأمور ماشية على السداد، ثم وقع الإفساد بعد ذلك كان أضر ما يكون على العباد، فنهى تعالى عن ذلك وأمر بعبادته ودعائه والتضرع إليه والتذلل لديه فقال: ﴿ وَادْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا ﴾ أي خوفاً مما عنده ومن وبيل العقاب وطمعاً فيما عنده من جزيل الثواب، ثم قال: ﴿ إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِنَ الْمُحْسِنِينَ ﴾ قال: قريب و لم يقل قريبة، لأنه ضمن الرحمة معنى الثواب لأنها مضافة إلى الله فلهذا قال قريب من المحسنين [٢] ، أي: إن رحمته مرصدة للمحسنين الذين يتبعون أوامره ويتركون زواجره كما قال تعالى: ﴿ وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ ﴾ الأعراف: ١٥٦ [٣].

(١) انظر :تفسير القرطبي ١٣/٣٦٥

(٢) انظر: تفسير ابن كثير ٢/٢٢٣

(٣) انظر:المصدر السابق ٢/٢٢٣

وقوله تعالى : ﴿ إِنَّ رَحْمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾ الأعراف: ٥٦ له دلالة بمنطوقه، ودلالة بإيمائه وتعليله ، ودلالة بمفهومه ،فدلالته بمنطوقه على قرب الرحمة من أهل الإحسان،ودلالته بإيمائه وتعليله على أن هذا القرب مستحق بالإحسان هو السبب في قرب الرحمة منهم ، ودلالته بمفهومه على بعده من غير المحسنين ، هذه ثلاث دلالات لهذه الجملة ، وإنما اختص أهل الإحسان بقرب الرحمة ، لأنها إحسان من الله عز وجل أرحم الراحمين ، وإحسانه تبارك وتعالى إنما يكون لأهل الإحسان، لأن الجزاء من جنس العمل ، وكلما أحسنوا بأعمالهم ؛أحسن إليهم برحمته وأما من لم يكن من أهل الإحسان ؛ فإنه لما بعد عن الإحسان بعدت عنه الرحمة ، بعد ببعد ، وقرب بقرب، فمن تقرب إليه بالإحسان ، تقرب الله إليه برحمته ، ومن تباعد عن الإحسان تباعد الله عنه برحمته ، والله سبحانه يحب المحسنين ، ويبغض من ليس من المحسنين ، ومن أحبه الله فرحمته أقرب شيء منه، ومن أبغضه الله فرحمته أبعد(١)

وحاصل ما ذكر الله من آداب الدعاء الإخلاص فيه لله وحده، لأن ذلك يتضمنه الخفية، وإخفاؤه وإسراره أن يكون القلب خائفاً طامعاً لا غافلاً ولا آمناً، ولا غير مبال بالإجابة وهذا من إحسان الدعاء، فإن الإحسان في كل عبادة بذل الجهد فيها وأداؤها كاملةً، لا نقص فيها بوجه من الوجوه ولهذا قال: ﴿إِنَّ رَحْمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾ في عبادة الله المحسنين إلى عباد الله فكلما كان العبد

(١) انظر: مجموع الفتاوى: (٢٣٨ / ٢٤)

أكثر إحسانا كان أقرب إلى رحمة ربه، وكان ربه قريباً منه برحمته وفي هذا من الحث على الإحسان ما لا يخفى[١].

٦- الإحسان يصير العدو صديقا، قال تعالى: ﴿ وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ ﴾ فصلت: ٣٤ ، قوله :"ولا تستوي الحسنة ولا السيئة ادفع بالتي هي أحسن" ، يعنى إن الحسنة والسيئة متفاوتتان في أنفسهما فخذ بالحسنة التي هي أحسن من أختها إذا اعترضتك حسنتان فادفع بها السيئة التي ترد عليك من بعض أعدائك كما لو أساء إليك رجل إساءة فالحسنة إن تعفو عنه ، " والتي هي أحسن " إن تحسن إليه مكان إساءته إليك مثل إن يذمك فتمدحه ... "فإذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم " فإنك إذا فعلت ذلك انقلب عدوك المشاق مثل الولي الحميم مصافاة لك ... وكان القياس على هذا التفسير إن يقال : ادفع بالتي هي حسنة ، ولكن وضع التي هي أحسن موضع الحسنة ليكون أبلغ في الدفع بالحسنة لأن من دفع بالحسنى هان عليه الدفع بما دونها[٢].

٧- الإحسان سبب للبشرى في الدنيا قال تعالى: ﴿ وَمِن قَبْلِهِ كِتَابُ مُوسَىٰ إِمَامًا وَرَحْمَةً ۚ وَهَٰذَا كِتَابٌ مُصَدِّقٌ لِسَانًا عَرَبِيًّا لِيُنذِرَ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَبُشْرَىٰ لِلْمُحْسِنِينَ ﴾ الأحقاف: ١٢.

(١) انظر :تفسير السعدي (٢٩٢/١).

(٢) انظر: المصدر السابق ، نفس الصفحة

قوله:" لينذر الذين ظلموا" ، أي : لينذر هذا الكتاب الذي أنزلناه إلى محمد عليه الصلاة والسلام الذين ظلموا أنفسهم بكفرهم بالله بعبادتهم غيره، وقوله: "وبشرى للمحسنين " ، أي : وهو بشرى للذين أطاعوا الله فأحسنوا في إيمانهم، وطاعتهم إياه في الدنيا فحسن الجزاء من الله لهم في الآخرة على طاعتهم إياه(١).

- **ثانياً: ثمرات الإحسان في الآخرة:**

١- الوعد من الله بعدم ضياع أجر المحسن، قال تعالى: ﴿ وَلَا نُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾ يوسف:٥٦ وقال تعالى: ﴿ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾ يوسف: ٩٠ ، وقال تعالى: ﴿ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾ هود: ١١٥.

وإحسان العمل أن يريد العبد به وجه الله ﷻ متبعاً في ذلك شرع الله، فهذا العمل لا يضيعه الله، ولا شيئاً منه بل يحفظه للعاملين، ويوفيهم من الأجر بحسب عملهم وفضله وإحسانه(٢)، ويجازيه بطاعته وعمله الحسن جنات عدن تجري من تحتها الأنهار(٣).

٢- حصول الأجر العظيم من الله للمحسن، قال تعالى: ﴿ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ مِنْهُمْ وَٱتَّقَوْا۟ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴾ آل عمران: ١٧٢ ، وقال ﷻ: ﴿ بَلَىٰ مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُۥٓ أَجْرُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ ﴾ البقرة: ١١٢.

---

(١) انظر : تفسير الطبري ٢٦/ ١٤

(٢) انظر : تفسير السعدي (١٥٥/٣).

(٣) انظر : تفسير الطبري (٢٥٤/١٥) ، وابن كثير (١٣٤/٩).

وقال تعالى: ﴿كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٤٣﴾ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾ المرسلات: ٤٣ - ٤٤ وقوله: ﴿إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾، يقول: إنا كما جزينا هؤلاء المتقين بما وصفنا من الجزاء على طاعتهم إيانا في الدنيا، كذلك نجزي ونثيب أهل الإحسان في طاعتهم إيانا وعبادتهم لنا في الدنيا على إحسانهم لا نضيع في الآخرة أجرهم(١). ﴿كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ الْمُحْسِنِينَ﴾ أي يقال لهم ذلك على سبيل الإحسان إليهم، ثم قال تعالى مخبراً خبراً مستأنفاً ﴿إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾ أي هذا جزاؤنا لمن أحسن العمل(٢).

٣- دخول الجنة، ورؤية الله سبحانه، قال تعالى: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ ۖ وَلَا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلَا ذِلَّةٌ ۚ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ ۖ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ يونس: ٢٦، أي للذين أحسنوا العمل في الدنيا الحسنى وهي الجنة وزيادة، وهي النظر إلى وجه الله الكريم، وهذا قول جماعة من الصحابة والتابعين (٣).

وقد ثبت تفسيرها بذلك من قول النبي صلى الله عليه وسلم: " إذا دخل أَهْلُ الْجَنَّةِ الْجَنَّةَ، قال يقول الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى تُرِيدُونَ شيئا أَزِيدُكُمْ فَيَقُولُونَ أَلَمْ تُبَيِّضْ وُجُوهَنَا أَلَمْ تُدْخِلْنَا الْجَنَّةَ وتنجينا من النَّارِ قال فَيَكْشِفُ الْحِجَابَ فما أُعْطُوا شيئا أَحَبَّ إِلَيْهِمْ من النَّظَرِ إلى رَبِّهِمْ عز وجل "، وفي رواية:" ثُمَّ تَلَا هذه

(١) انظر: تفسير الطبري ٢٩/ ٢٤٤

(٢) انظر: تفسير ابن كثر ٤/٤٦٢

(٣) انظر: معالم التنزيل: ٢/٣٥١

الآية ﴿ لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ ﴾ "[١]، وقال تعالى: ﴿ ءَاخِذِينَ مَآ ءَاتَىٰهُمْ رَبُّهُمْ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَبْلَ ذَٰلِكَ مُحْسِنِينَ ﴾ الذاريات: ١٦ وقال جماعة من المفسرين : معنى قوله "آخذين ما آتاهم ربهم " ، أي: محصلين لنعم الله التي أعطاهم من جنته ورضوانه، وهذه حال متصلة في المعنى بكونهم في الجنات، وهذا التأويل أرجح عندي لاستقامة الكلام به وقوله: "قبل ذلك"، يريد في الدنيا محسنين؛ بالطاعة والعمل الصالح [٢].

٤- زيادة الله في الثواب للمحسنين ، قال تعالى: ﴿ وَسَنَزِيدُ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾ البقرة: ٥٨ ، وقال تعالى: ﴿ سَنَزِيدُ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾ الأعراف: ١٦١ أي ثواباً من فضلنا[٣].

٥- تكفير السيئات، قال تعالى: ﴿ وَٱلَّذِى جَآءَ بِٱلصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِۦٓ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ ﴿٣٣﴾ لَهُم مَّا يَشَآءُونَ عِندَ رَبِّهِمْ ذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٣٤﴾ لِيُكَفِّرَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ أَسْوَأَ ٱلَّذِى عَمِلُوا۟ وَيَجْزِيَهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ ٱلَّذِى كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾ الزمر: ٣٣ - ٣٥ ، فجزى هؤلاء المحسنين ربهم بإحسانهم ، كي يكفر عنهم أسوأ الذي عملوا في الدنيا من الأعمال فيما بينهم وبين ربهم، بما كان منهم فيها من توبة وإنابة ، مما اجترحوا من السيئات فيها ، "ويجزيهم أجرهم " أي: ويثيبهم ثوابهم بأحسن الذي كانوا في

(١) أخرجه : مسلم ١/ ١٦٣برقم ١٨٠-١٨١

(٢) انظر : المحرر الوجيز ٥/ ١٧٤

(٣) انظر : معالم التنزيل (١/٤٤).

الدنيا يعملون مما يرضى الله عنهم دون أسوئها[١]. فيكفر عنهم السيئات، ويجزيهم أجرهم بأحسن الذي كانوا يعملون ، أي : بأحسن أجور أعمالهم يضاعف الحسنات إلى عشرة أضعاف إلى سبعمائة ضعف إلى ما شاء الله ، والله أعلم .

* * *

(١) انظر : تفسير الطبري ٢٤/ ٥

الخاتمة

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، وبعد فقد استمتعت بكتابة هذا البحث، وطاف بي في محطات قيمة من نصوص الوحيين الشريفين وخرجت بهذه النتائج:

١- إن الإحسان في اللغة يستخدم لازما فيكون معناه الإتقان ومتعديا فيكون معناه الإنعام.

٢- إن الإحسان في الاصطلاح يطلق على معان هي: فعل الحسنات، أو الإنعام على الناس، أو مراقبة الله تعالى.

٣- تعددت أساليب القرآن والسنة في الدعوة إلى الإحسان وتنوعت حيث وصف الله أسماءه بالحسنى وأخبر عن أفعاله أنها حسنة ،وأمر بالإحسان وحث عليه ، ومدح المتصفين به وأثنى عليهم ، وذكر جزاءهم ، بل جعل وصف الحسن لكل ما مدحه وأثنى عليه مما هو مرضي ، أو كامل، ،كما دعا النبيﷺ ربه أن يبلغه رتبة الإحسان في الأعمال.

٤- إحسان الله إلى الخلق، وله صور منها : خلقهم بالصورة اللائقة والإحسان إليهم بإدخالهم الجنة بفضله ورحمته، لا بسبب أعمالهم والإحسان إليهم بتوفيقهم للعمل الصالح، وإعطائهم الأجر والثواب ومضاعفته لهم عليه، والإحسان إليهم بنعمه في الدنيا التي لا تعد ولا تحصى.

٥- إحسان العبد مع ربه، و هو مراقبته جلا وعلا ويدخل في معنى إحسان العبد مع الله، تنفيذ أمره وكذلك إحسان الظن بالله من الإحسان مع الله .

٦- إحسان العبد مع الناس ، وله صور منها : إحسان العبد مع نفسه، وإحسان العبد إلى الناس، ويشتمل: إحسانه إلى الوالدين، والإحسان إلى النساء ويشمل: الأم والزوجة والبنات والأمة المملوكة، والإحسان إلى الأقارب والجيران والأصحاب ،والإحسان إلى من له حق عندك، بإعطائه حقه من غير مطل ولا نقص ولا إساءة، والإحسان إلى المدعوين عموماً.

٧- الإحسان مع باقي الخلق: ويشمل الحيوان والبيئة ونحوهما .

٨- من ثمرات الإحسان في الدنيا :الجزاء الحسن من الله للمحسنين بسبب إحسانهم ، واستماع الله سبحانه إلى من حسن صوته بقراءة القرآن ،وحب الله تعالى للمحسنين، و معية الله الخاصة للمحسن ، وقرب رحمة الله من المحسنين كما أن الإحسان يصير العدو صديقا .

٩- من ثمرات الإحسان في الآخرة : الوعد من الله بعدم ضياع أجر المحسن،وحصول الأجر العظيم من الله للمحسن، ودخول الجنة ورؤية الله، وزيادة الله في الثواب للمحسنين، وتكفير السيئات، وغير ذلك من الفوائد والثمار التي لا يعلمها إلا هو سبحانه. والله أعلم ، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين

قائمة المصادر والمراجع

١- الاستيعاب في معرفة الأصحاب، تأليف: يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر، دار النشر: دار الجيل - بيروت - ١٤١٢، الطبعة: الأولى، تحقيق: علي محمد البجاوي

٢- أسد الغابة في معرفة الصحابة، تأليف: عز الدين بن الأثير أبي الحسن علي بن محمد الجزري، دار النشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت / لبنان - ١٤١٧ هـ -١٩٩٦ م ، الطبعة: الأولى، تحقيق: عادل أحمد الرفاعي

٣- أضواء البيان ، لمحمد الأمين الشنقيطي، دار الفكر، بيروت ط/ ١٤١٥ هـ.

٤- الأعلام ، تأليف خير الدين الزركلي ، دار العلم للملايين ، بيروت ، الطبعة الرابعة عشرة ،١٩٩٩ م

٥- إكمال المعلم بشرح صحيح مسلم، للقاضي عياض ،دار الوفاء، مصر ،ط/١، ١٤١٩هـ

٦- البداية والنهاية، تأليف: إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي أبي الفداء، دار النشر: مكتبة المعارف – بيروت

٧- بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز للفيروز أبادي، ، المكتبة العلمية ، بيروت. بدون تاريخ

٨- التحرير والتنوير لابن عاشور، دار سحنون، تونس .

٩- تاريخ بغداد، تأليف: أحمد بن علي أبي بكر الخطيب البغدادي، دار النشر: دار الكتب العلمية – بيروت.

١٠- تحفة الأحوذي بشرح سنن الترمذي للمباركفوري ، دار الكتب العلمية بيروت ، بدون تاريخ

١١- تذكرة الحفاظ،لمحمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي ، ،دار إحياء التراث العربي، بيروت.

١٢- التعريفات الاعتقادية، لسعد بن محمد آل عبد اللطيف، دار الوطن، الرياض ط١ ١٤٢٢هـ.

١٣- التعريفات للجرجاني، تحقيق إبراهيم الأبياري، دار الريان .

١٤- تفسير أبي السعود محمد العمادي ، "إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم" ،دار إحياء التراث العربي، بيروت. بدون تاريخ

١٥- تفسير البحر المحيط ، لأبي حيان ، دار الكتب العلمية بيروت ، ط/١، ١٤٢٢هـ

١٦- تفسير تيسر الكريم الرحمن ، لعبد الرحمن السعدي، دار المدني ، جدة، ١٤٠٨ هـ

١٧- روح المعاني للألوسي، دار إحياء التراث العربي، بيروت. بدون تاريخ

١٨- جامع البيان عند تأويل القرآن جامع البيان في تأويل القرآن" ، تحقيق د/عبد المحسن التركي، دار هجر، القاهرة، ط/ ١، ١٤٢٢هـ

١٩- تفسير القرآن العظيم لابن كثير: تحقيق مجموعة من الباحثين، ومؤسسة قرطبة ، ط/ ١، ١٤٢١هـ

٢٠- " الجامع لأحكام القرآن " لابن عبد الله محمد بن أحمد القرطبي ، دار الكتب العلمية بيروت ، ط/ ١، ١٤١٧هـ..
٢١- تقريب التهذيب، تأليف: أحمد بن علي بن حجر أبي الفضل العسقلاني الشافعي، دار النشر: دار الرشيد - سوريا - ١٤٠٦ - ١٩٨٦، الطبعة: الأولى، تحقيق: محمد عوامة
٢٢- جامع العلوم والحكم، لابن رجب الحنبلي، دار ابن حزم، بيروت، ط/١٤١٨،١هـ.
٢٣- جلاء العينين في محاكمة الأحمدين ، لنعمان بن محمود ، الآلوسي ، مطبعة المدني، ط/ ١٤٠١ هـ - .
٢٤- حاشية السندي على سنن النسائي ، تحقيق : عبد الفتاح أبو غدة،مكتب المطبوعات الإسلامية ، حلب ، ط/٢،١٤٠٦هـ
٢٥- الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب،لابن فرحون ، دار الكتب العلمية ، بيروت.
٢٦- ذيل التقييد في رواة السنن والمسانيد، تأليف: محمد بن أحمد الفاسي المكي أبي الطيب، دار النشر: دار الكتب العلمية - بيروت - ١٤١٠، الطبعة: الأولى، تحقيق: كمال يوسف الحوت
٢٧- زاد المسير في علم التفسير،لعبد الرحمن بن الجوزي، المكتب الإسلامي ، الطبعة الثالثة ، ١٤٠٤هـ.
٢٨- السراج المنير، للخطيب الشربيني دار إحياء التراث، ط/١، ١٤٢٥هـ بيروت.
٢٩- سنن ابن ماجة .تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، دار الفكر ، بيروت بدون تاريخ
٣٠- سنن أبي داوود. تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، دار الفكر ، بيروت بدون تاريخ
٣١- سنن الدارمي. تحقيق فواز احمد ،دار الكتاب العربي ، بيروت بدون تاريخ
٣٢- سنن النسائي الكبرى.تحقيق عبد الغفار سليمان ، دار الكتب العلمية، بيروت، بدون تاريخ
٣٣- سنن النسائي الصغرى .تحقيق عبد الفتاح أبو غدة ، مكتب المطبوعات الإسلامية ، حلب بدون تاريخ
٣٤- سير أعلام النبلاء ، لشمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد الذَهَبي،تحقيق : مجموعة محققين بإشراف شعيب الأرناؤوط، الناشر : مؤسسة الرسالة.
٣٥- شرح مشكاة المصابيح للطيبي ، دار الكتب العلمية، بيروت، ط/١، ١٤٢٢هـ
٣٦- شرح صحيح مسلم للنووي. دار إحياء التراث العربي، بيروت. بدون تاريخ
٣٧- شعب الإيمان، تأليف: أبي بكر أحمد بن الحسين البيهقي، دار النشر: دار الكتب العلمية - بيروت - ١٤١٠هـ ، الطبعة: الأولى، تحقيق: محمد السعيد بسيوني زغلول
٣٨- شيخ الإسلام الإمام الأكبر ابن عاشور، للشيخ محمد الحبيب بن الخوجة ، دار الغرب ، تونس.
٣٩- صحيح ابن حبان. بترتيب ابن بلبان ، وتحقيق شعيب الارنؤط، مؤسسة الرسالة ، بيروت
٤٠- صحيح ابن خزيمة .تحقيق محمد مصطفى الأعظمي ، المكتب الاسلامي ، بيروت

٤١- صحيح البخاري. ترقيم مصطفى البغاء، دار ابن كثير ، بيروت
٤٢- صحيح مسلم . ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي ، دار إحياء التراث العربي، بيروت.
٤٣- طبقات الحفاظ، تأليف: عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي أبي الفضل، دار النشر: دار الكتب العلمية - بيروت - ١٤٠٣، الطبعة: الأولى
٤٤- طبقات الحنابلة، تأليف: محمد بن أبي يعلى أبي الحسين، دار النشر: دار المعرفة - بيروت، تحقيق: محمد حامد الفقي.
٤٥- طبقات الشافعية الكبرى، تأليف: تاج الدين بن علي بن عبد الكافي السبكي، دار النشر: هجر للطباعة والنشر والتوزيع - ١٤١٣هـ، الطبعة: ط٢، تحقيق: د. محمود محمد الطناحي ، و د.عبد الفتاح محمد الحلو.
٤٦- طبقات الشافعية، تأليف: أبي بكر بن أحمد بن محمد بن عمر بن قاضي شهبة، دار النشر: عالم الكتب - بيروت - ١٤٠٧، الطبعة: الأولى، تحقيق: د. الحافظ عبد العليم خان
٤٧- طبقات المفسرين، تأليف: للداوودي ، دار النشر: مكتبة العلوم والحكم - السعودية - ١٤١٧هـ- ١٩٩٧م، الطبعة: الأولى
٤٨- علماء نجد، للبسام ، مكتبة المعارف ، الرياض.
٤٩- عمدة القاري بشرح صحيح البخاري ، للعيني ، دار إحياء التراث العربي، بيروت. بدون تاريخ
٥٠- عون المعبود بشرح سنن أبي داوود ، لمحمد لشمس الحق أبادي. دار الكتب العلمية، بيروت،
٥١- فتاوى ابن تيمية، جمع عبد الرحمن بن قاسم، مكتبة ابن تيمية / ط /٢.
٥٢- فتح الباري بشرح صحيح البخاري ، لابن حجر ، تعليق محب الدين الخطيب .ط، الدار السلفية ، القاهرة.
٥٣- فتح القدير، محمد علي الشوكاني ، دار الخير، بيروت ، ط/ ١، ١٤١٢هـ
٥٤- الكاشف في معرفة من له رواية في الكتب الستة، تأليف: حمد بن أحمد أبي عبد الله الذهبي الدمشقي، دار النشر: دار القبلة للثقافة الإسلامية ، مؤسسة علو - جدة - ١٤١٣ - ١٩٩٢، الطبعة: الأولى، تحقيق: محمد عوامة
٥٥- الكشاف، للزمخشري ،تحقيق عبدالرزاق المهدي،دار إحياءالتراث العربي ،ط/١٤١٧،١هـ ،بيروت
٥٦- لسان العرب لابن منظور (١٧٩/٣)، دار إحياء التراث ، ط/٢ ، ١٤١٣هـ بيروت.
٥٧- محاسن التأويل، للقاسمي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١ ١٤١٨هـ.
٥٨- المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، لابن عطية الأندلسي، تحقيق عبد السلام عبد الشافي، دار الكتب العلمية بيروت، ط/ ١، ١٤١٣هـ.

٥٩- مرقاة المفاتيح شرح المشكاة ،للقاري. دار الكتب العلمية، بيروت،
٦٠- مسند الإمام أحمد، بتحقيق شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت.
٦١- معجم الأدباء ، ياقوت الحموي ، دار إحياء التراث بيروت
٦٢- المعجم الأوسط، للطبراني ، تحقيق: محمود الطحان ، مكتبة المعارف الرياض.
٦٣- معجم مقاييس اللغة، لابن فارس، دار الجليل بيروت، ضبط عبد السلام هارون.
٦٤- مفردات ألفاظ القرآن، للراغب الأصفهاني، دار القلم بيروت، ط٢ ١٤١٨هـ.
٦٥- موسوعة نظرة النعيم، مجموعة من الباحثين، دار الوسيلة، جدة، ط١ ١٤١٨هـ.
٦٦- موطأ مالك .تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي ، دار إحياء التراث العربي، مصر.
٦٧- نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، لبرهان الدين أبي الحسن إبراهيم بن عمر البقاعي، دار الكتب العلمية بيروت، ط/ ١ ،١٤١٥ هـ.
٦٨- النكت والعيون ، لأبي الحسن علي بن محمد بن حبيب الماوردي ، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت،
٦٩- النهاية في غريب الأثر ، لابن الأثير الجزري ، المكتبة العلمية ،بيروت،١٣٩٩هـ
٧٠- الوافي بالوفيات، تأليف: صلاح الدين خليل بن أيبك الصفدي، دار النشر: دار إحياء التراث - بيروت - ١٤٢٠هـ- ٢٠٠٠م ، تحقيق: أحمد الأرناؤوط ، وتركي مصطفى.

* * *